منشورات المركز الأكاديمي للدراسات الثقافية والأبحاث التربوية

البلاغة العربية
وآفـــاق تحليـــل الخطاب

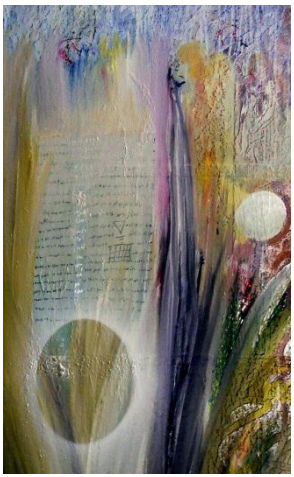

تنسيق

المهدي لعرج حنان المراكشي

محمد الفتحي مصطفى شميعة

فاس ٢٠٢٠

فهرس الموضوعات

تقديم: 3
- البلاغة العربية وامتداداتها..... 7
البلاغة والمجتمع ، قراءة في بعض إسهامات د عماد عبد اللطيف.
د. عادل عاللطيف..... 8
كتاب تحليل الخطاب البلاغي : دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف.
د. علي المصلاوي وأ د: كريمة نوماس محمد النمري..... 15
من الوظائف البلاغية إلى البلاغة الوظيفية ،
د. محمد غازيوي..... 33
أطر النقد البلاغي العربي المعاصر في مشروع عماد عبد اللطيف.
ذ. محمد يطاوي..... 46
قراءة تحليلية وصفية لكتاب " البلاغة والتواصل عبير الثقافات" للدكتور عماد عبد اللطيف
د. مسعود غريب..... 62
أهمية التواصل بين الثقافات والحضارات ودور البلاغة ، دراسة ذرائعية مستقطعة في كتاب "البلاغة والتواصل عبر الثقافات" للدكتور عماد عبد اللطيف،
د. عبير خالد يحيى..... 83
تحرر البلاغة أو نقض أسس الخطاب الرسمي
ذ محمد الوظيفي..... 102
رؤية الدكتور عماد عبد اللطيف للتواصل بين الثقافات من خلال كتابه " البلاغة والتواصل عبر الثقافات"
د خالد التوزاني..... 117
- مفهوم بلاغة الجمهوروتطبيقاته..... 137
البلاغة والخطابة السياسية المعاصرة، قراءة في كتاب "الخطابة العربية السياسية في العصر الحديث" لعماد عبد اللطيف.
ذ عبدالوهاب صديقي 138
ملامح تجديدية في البلاغة وتحليل الخطاب، قراءة في مشروع بلاغة الجمهور لعماد عبد اللطيف
د. نزهة خلفاوي..... 146
بين بلاغة الجمهورونظرية التلقي ، تكامل أم تمايز؟
ذ. حسين البعطاوي..... 157

فاعلية استجابة جمهور مواقع التواصل الاجتماعي في تغيير الخطاب، قراءة في مشروع الدكتور عماد عبد اللطيف
د. ماجد صلاح 186
بلاغة الجمهور: نحو بناء فرضية ذهنية جديدة.
د. عبد الكبير الحسني..... 203
فلسفة الحوار، تأسيس لبلاغة الجمهور في كتاب "البلاغة والتواصل" لعماد عبد اللطيف .
د. نعيمة سعدية..... 212
نظرية بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف وعلاقتها بالسيميائيات
د. ماجد قائد قاسم..... 242
بلاغة الجمهور بين الرؤية و المنجز و الطموح
ذ عادل المجدلاوي..... 267
- تحليل الخطاب السياسي..... 308
مقاربة الخطاب السياسي، قراءة في أعمال د عماد عبد اللطيف
ذ. فضيل ناصري..... 309
وظائف الاستعارة في الخطاب السياسي من منظور د عماد عبد اللطيف.
د بلخير شنين..... 322
تحليل الخطاب السياسي، قراءة في أعمال الدكتور عماد عبد اللطيف
د فؤاد أعلوان 337
- إشكالية تدريس البلاغة العربية..... 350
الرؤية الحداثية في تدريس البلاغة العربية – عماد عبد اللطيف نموذجا .
د نصيرة شيادي..... 351
تدريسية البلاغة العربية، قراءة وتعقيب على مقال " تدريس البلاغة العربية التاريخ، الحاضر، المستقبل
ذ.أيوب الظهراوي..... 362
تدريسية البلاغة العربية : المفاهيم وأساليب الأجرأة. قراءة في مشروع د عماد عبد اللطيف.
د. نور الدين ناس الفقيه..... 376
بعض صور أجرأة بلاغة السكاكي في الدرس التعليمي – آلية التعريف أنموذجا- استضاءة بتجربة الدكتور عماد عبد الطيف.
د دنيا لشهب..... 389
- فهرس الموضوعات: 402

بلاغة الجمهور
بين الرؤية، والمنجز، والطموح

عادل المجداوي
باحث في البلاغة وتحليل الخطاب- المغرب

مقدمة

يَعْرِفُ الحقلُ البلاغيّ العربيّ انتعاشا في العصر الحاضر، بفضل مجموعة من الأقلام التي تعيد قراءة التراث البلاغي العربي بعين منفتحة على المنجز الغربي، خدمةً للبلاغة العربية وطموحا إلى جعلها في مرتبة البلاغة الكونية، فالتراث مفتوح على كل القراءات، خاصة تلك القراءات التي تستند إلى إبدال معرفي Paradigm يساعدها في دراسة البلاغة إبستمولوجيا، دون إقصاء الجوانب التداولية التي رافقت تاريخ تطورها، وأهمها الجانب الإيديولوجي. ومن هذا المنطلق نتبيّن الرؤية التي حكمت المشاريع البلاغية العربية الجديدة، التي أسست تصورها النظري انطلاقا من قراءة التراث البلاغي العربي، باعتماد مفاهيم بلاغية جديدة حتى أصبح شائعا اليوم استخدام عبارتي "البلاغة التقليدية" و"البلاغة الجديدة"؛ فالبلاغة التقليدية هي بلاغة السكاكي ومن تقيّله من الشُرَّاح والملخّصين وصولا إلى العصر الحاضر، من خلال امتداد تصور السكاكي في كتابات المحدثين الذين لم يتخلصوا منه على الرغم من تعدد العناوين، فيما ترتبط البلاغة الجديدة بالمشاريع البلاغية التي استلهمت مفاهيم البلاغة الغربية الجديدة ووظفتها في قراءة التراث، وأبرز هذه المشاريع البلاغية العربية: مشروع البلاغة العامة للأستاذ محمد العُمَري، ومشروع بلاغة الجمهور للأستاذ عماد عبد اللطيف، دون أن ننسى مشاريع دون مسمّيات كمنجز الأستاذ محمد الولي؛ إذ لم تكن قراءات هؤلاء البلاغيين تراثية للتراث[1]، أي إنها لم تكن تكرارية واجترارية، بل جعلت التراث البلاغي موضوعا تقرؤه بشكل عقلاني وتفيد منه بكل ما من شأنه أن يطور البحث البلاغي العربي، بمراعاة التغيرات التاريخية التي حدثت في البلاغة الكونية بشكل عام.

إن ما يميز مشروع بلاغة الجمهور من غيره من المشاريع البلاغية، هو اعتماده إبدالا معرفيا جديدا، يقوم على صورة عكسية في مجال البحث البلاغي، وذلك بالتركيز على منطقة الجمهور التي هُمّشت في تاريخ البحث البلاغي، سواء في البلاغة العربية أو الغربية، لأن البحث البلاغي ركز منذ القديم على منشئ الخطاب دون المخاطَب، ومن ثم فحتى حضور المخاطب في الدراسات البلاغية

(1) استعرنا هذا التعبير من الأستاذ محمد عابد الجابري، انظر مقدمة كتابه: نحن والتراث.. قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي.

لم يكن إلا بهدف التأثير فيه أو إقناعه أو هما معا، وقد تنبه الباحث عماد عبد اللطيف إلى هذه الملاحظة باعتماد علاقة السلطة التي تربط بين المتواصلين.

تروم هذه الورقة البحثية مراجعة منجز بلاغة الجمهور منذ نشأتها، ومقارنة ذلك برؤيتها البلاغية من خلفية فلسفية ومنظومة مصطلحية، قصد تأمل ثمرات هذا المشروع البلاغي الجديد، ثم رصد مكامن ضعفه كذلك، والعمل على تطويره في المستقبل. ولذلك، سنحاول إعطاء صورة شاملة لمسار تطور هذا المشروع البلاغي، دون الإغراق في تفاصيل محطة معينة، كما سنركز على مرحلة العمل الجماعي في مقابل مرحلة العمل الفردي وإن كانت تعد الأساس المتين لهذا الصرح البلاغي الجديد دون شك في ذلك، كما أن مرحلة العمل الجماعي قامت أساسا على الرجوع إلى أعمال الباحث عماد عبد اللطيف قصد التجريب ومحاولة البناء.

أولا: بلاغة الجمهور بين الرؤية والمنجز

1- بلاغة الجمهور: النشأة وأسسها

ظهر مشروع بلاغة الجمهور سنة 2005، بفضل مقال تأسيسي عَنْوَنه الباحثُ عماد عبد اللطيف بـ"بلاغة المخاطَب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته"، وكانت غايته من ذلك تطوير البلاغة العربية، ومن ثم كانت أولى الخطوات التأسيسية، تتمثل في إعادة قراءة التراث البلاغي العربي ورصد إشكالاته، خاصة في العصور المتأخرة، ولا يمكن في نظرنا استيعاب هذا المشروع البلاغي إلا بالاستناد إلى مقولة الإبدال المعرفي The paradigm،[2] لأنها تسعف في عَلْمَنة تاريخ البلاغة العربية من خلال تتبع ثوراته المعرفية، تلك الثورات التي تجسد إبدالات معرفية، أساسها خرق قواعد التفكير البلاغي السائد وتغييرها. وقد وضح الباحث عماد عبد اللطيف بعد سنوات اعتماده هذا المبدأ الإبستمولوجي في بناء معرفة بلاغية جديدة، حين قال: «واقترحت توجها رابعا للدرس البلاغي يقترح تغييرا في **النموذج الإرشادي** للبلاغة العربية»،[3] ولتحقيق غايته دعا إلى الاهتمام بخطابات الحياة اليومية، بسبب «انفصال الدراسات اللغوية والبلاغية الأكاديمية، في أقسام اللغة العربية خاصة، عن الواقع المعاش، وانحسار اهتمامها في اللغة العربية الكلاسيكية وبلاغتها، وافتقاد مناخ الحرية الأكاديمية. وغيرها من الأسباب التي تؤدي جميعا إلى الانصراف عن دراسة الخطابات البلاغية العامة في المجتمع الأكاديمي المعاصر»،[4] وقد ركز

---

(2) ترجمة الأستاذ بناصر البعزاتي، وهو مصطلح ينتمي إلى فلسفة العلوم، يُنسب إلى الفيلسوف ت. س كُونThomas Samuel Kuhn ضمن كتابه بنية الثورات العلمية The Structure of Scientific Revolutions، الصادر أول مرة سنة 1662. وللإشارة توجد عدة مقابلات أخرى، سواء معربة كالبراديغم والبارادايم، أو مترجمة كالأنموذج والنموذج، وعادة ما يوصفان بالمعرفي أو الإرشادي أو القياسي.

(3) عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟، ص:34. [التشديد من عندنا]

(4) عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب، ص:9.

تحديدا على دراسة ما ينتجه الجمهور من استجابات بلاغية في مقام تلقّيه خطاب المتكلم.

لقد كانت قراءة التراث العربي أساسا لتصنيف تاريخ البلاغة العربية إلى ثلاث بلاغات، هي: البلاغة القرآنية، والبلاغة الأدبية، والبلاغة الإنشائية، على أساس ثلاثة عناصر ثابتة هي: المادة والموضوع والوظيفة.[5]ثم بعد ذلك، اقترح التوجه البلاغي الرابع الذي أطلق عليه بداية اسم بلاغة المخاطب ليَعْدِلَ عن ذلك إلى تسميته بلاغة الجمهور، وهذا الانتقال له مبرراته، فحين يطلق مصطلح المخاطب فإن مفهومه، ضمن بلاغة الجمهور، ينصرف إلى مقام تداولي يكون فيه المتلقي فردا واحدا، أي مقام بين-فردي، وفي مقابل ذلك يشير مفهوم الجمهور إلى متلقين متعددين، ويتحدد الجمهور بالاستجابة التي ينتجها في مواجهة خطاب المتكلم، سواء كانت استجابة مباشرة آنية أو غير ذلك.[6] غير أن هناك بعض الإشكالات المصطلحية تكتنف مصطلح الجمهور[7].

وإجمالا، يمكن رصد الرؤية البلاغية التي تأسّست عليها بلاغة الجمهور في التقابل الذي أحدثته بين طرفي التواصل، وهما المتكلم منشئ الخطاب والمخاطب أو الجمهور. وتبعا لذلك، حاجج الباحث في أن البلاغة العربية والبلاغة الغربية كذلك، اهتمتا بالمتكلم على حساب المخاطب، وما حضور المخاطب في التراث البلاغي إلا بهدف تعرف كيفية التحكم فيه والسيطرة عليه، يقول الباحث في هذا الصدد: «ركزت على تفنيد الدعوى القائلة بأن البلاغة القديمة احتفت بالمخاطب؛ مبرهنا أن الاهتمام بالمخاطَب في البلاغة العربية القديمة يستهدف تحقيق غاية المتكلم في إنجاز أقصى تأثير لكلامه أو نصه... وقد كان هذا الإدراك لانشغال البلاغة القديمة بتحقيق أغراض المخاطِبين، والنظر إلى المخاطَبين على أنهم فرائس للقنص، ومرمى للتصويب، هو حافزي الأساسي إلى اقتراح توجه بلاغة الجمهور»،[8] أما عن نظرة البلاغة الغربية للمخاطب، فقد استنتجها من خلال دراساته حول بلاغة أفلاطون وأرسطو، إذ خلص إلى أن الفيلسوفين لم يهتما «بأشكال التفاعل التي يمكن أن تنشأ بين المتكلم والجمهور»،[9] وبذلك كانت نظرتهما تتجه من المتكلم صوب المخاطب فقط.

---

(5) لمزيد من التفصيل، يرجع إلى عماد عبد اللطيف: بلاغة المخاطب، ص:10-11.

(6) يميز الباحث عبد اللطيف بين ثلاثة أنواع من الاستجابات، هي: استجابات آنية ومباشرة، واستجابات آنية غير مباشرة، ثم استجابات لاحقة، انظر عماد عبد اللطيف، كيف ندرس التناص في الخطاب السياسي، ص:281.

(7)رصدنا بعضها في مقالنا المعنون بـ"مفهوم الجمهور بين البلاغة العامة وبلاغة الجمهور"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص:189.

(8)عماد عبد اللطيف، منهجيات دراسة الجمهور، ص:160.

(9)نفسه، ص:159.

وقبل الانتقال إلى إعطاء لمحة عن الخلفية النظرية لبلاغة الجمهور، نوضح أن تجديدها البلاغة العربية شمل ثلاثة عناصر، هي التي اتخذها الباحث لتصنيف البلاغة العربية، فأما على مستوى **المادة**، فقد دعا الباحث إلى دراسة استجابات الجمهور للخطابات البلاغية الجماهيرية مع الانفتاح على وسائط الثورة الرقمية كالفيسبوك واليوتيوب وغيرهما، وأما على مستوى **الموضوع**، فقد لفت إلى دراسة استجابات الجماهير، وما يدعو إلى إنتاجها، خاصة عبر رصد علاقة السلطة بين المتكلم والجمهور والوسيط والسياق، بينما يتجلى مستوى **الوظيفة** في بعد تربويّ (بيداغوجي) يسعى إلى تمكين الجماهير من قواعد ومعارف يبلورها في استجابات بليغة لتقويض الخطابات السلطوية أو زعزعتها على الأقل.

وستكتسب دعوة الباحث إلى الاهتمام بالخطابات الجماهيرية قوةً حجاجية بعد الثورات التي شهدتها مجموعة من الدول العربية، في إطار ما يسمى "الربيعَ العربي Arab Spring"، خاصة بعد تحليل الباحث خطابات الجماهير المصرية، ومن بين تحليلاته قبل الربيع العربي وبعده، نذكر على التوالي ما يتعلق بالعلامات غير اللغوية كتاب "لماذا يصفق المصريون؟"(2009)، وما يتعلق بالعلامات اللغوية وغير اللغوية كتاب "بلاغة الحرية" (2013). وهو ما حفزه على القول بأن بلاغة الجمهور «قد تبنت الدعوة إلى الاهتمام الأكاديمي بخطابات الجماهير، وسعت -قبل الربيع العربي- إلى توجيه اهتمام الأكاديميين العرب، وبخاصة دارسي البلاغة، نحو خطابات الحياة اليومية التي ينتجها الجمهور في الفضاءات العمومية. وقدمت نماذج تحليلية لدراسة هذه الخطابات»،[10] لقد لعبت خطابات الربيع العربي دور المحامي في الدفاع عن انتقاد وُجّه لبلاغة الجمهور، يتهمها بأنها تعطي خطاباتِ الحياة اليومية أهميةً لا تستحقها.

2- الإطار الفلسفي لبلاغة الجمهور

لقد سعى صاحب المشروع منذ بداية مشوار البحث في هذا التوجه البلاغي إلى البحث عما يحوي مشروعه من الجانب الفلسفي، بما يضمن له رسوخه وإمكانية مساءلته بشكل أكاديمي، لذلك مَوْقَعَ مشروعه ضمن فلسفة يورغنهابرماس وتحديدا ضمن الاهتمام الثالث الذي يقصد العلوم النقدية،[11] حين أشار إلى أن هابرماس حدد ثلاثة اهتمامات معرفية مشتركة لدى البشر، هي:

الاهتمام الأول: تقني فني	الاهتمام الثاني: عملي	الاهتمام الثالث: تحرري
يتجلى في معرفة البيئة المحيطة وفي السيطرة عليها والتحكم فيها. وقد	يتمثل في قدرة كل منا على فهم الآخرين، وعلى العمل المشترك والتعاون في مناشط	ينطوي على الرغبة في تخليص أنفسنا من كل ما يعمل على تشويه عمليات الاتصال

(10) عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي ملاحظات منهجية، ص:14.

(11) انظر الملاحظة التي قدمها الباحث في هذا الصدد في مقاله التأسيسي نقلا عن مارشال 2001: "بلاغة المخاطب"، ص:32.

أدى هذا الاهتمام إلى قيام العلوم الطبيعية. الحياة. وهذا هو الاهتمام المسؤول عن قيام العلوم التأويلية. والفهم. وهو الاهتمام المسؤول عن قيام العلوم النقدية.

وللإشارة فإن هابرماس ينتمي إلى ما يعرف بـ"النظرية النقدية" التي ارتبط تأسيسها بمدرسة فرانكفورت الألمانية، وهي نظرية اجتماعية ذات أسس ماركسية، و«تتبدى الخطوط العريضة للنظرية النقدية بأنها مشروع يسعى إلى دفع قضية التحرر والانعتاق من خلال ما تراه جهدا نظريا موجها ضد الهيمنة التي أشاعتها مرحلة التنوير واستمرت مع كانط»،[12] وفي هذا التحديد يتجلى التوافق مع الفلسفة التي تضعها بلاغة الجمهور لمسارها في نشر الوعي بين الجماهير لممارسة التحرر والانعتاق عبر نقد الخطابات السلطوية وكشف ما تنطوي عليه من تلاعبات وتضليلات وتزييف وعيها. ويمكن تلخيص أساس هذه النظرية النقدية في أنها تسعى «إلى مناهضة تشكلات القوى التي تؤسس الهيمنة وتعممها مظهرة محدوديتها وقصورها وتعسفها».[13] ولا بد لهذه التواشجات بين النظرية النقدية وبلاغة الجمهور من دراسة مفصلة، فلا نلتقي في الكتابات التي تهم بلاغة الجمهور في هذا الجانب إلا مع إشارات لا تفصل في الأمر تفصيلا لتبيان تلك العلائق.

3- اقتراحات لتطوير الأساس الإبستمولوجي

ما دامت بلاغة الجمهور حقلا معرفيا ناشئا يتبنى إبدالا معرفيا جديدا في الفكر البلاغي، فهي مطالبة بتوضيح الرؤية التي يعتمدها هذا الإبدال الجديد القائم على تصور معكوس للبلاغة التقليدية، يتجه من الجمهور صوب المتكلم؛ ولذلك فأول خطوة لتوضيح هذا التصور هي إعادة كتابة تاريخ البلاغتين العربية والغربية على أساس إبدال بلاغة الجمهور القائم على مفهوم السلطة والصورة العكسية للعلاقة بين طرفي التواصل. وهذه الخطوة قد بدأها الباحث نفسه في مجموعة من مقالات تهتم بتوضيح النظرة السلبية الأفلاطونية إلى الجمهور، وهذه المقالات هي:

أ - موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي "جورجياس"و"فيدروس"، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية. مجلة علمية محكمة، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، مجلد 4، عدد 3 (2008)، 244-227.

ب - نقد بلاغة السلطة وتقويض سلطة البلاغة، دراسة في مشروع البلاغة النقدية. مجلة نزوى، سلطنة عمان، ع 66، أبريل 2011، 49 – 58.

ج - أفلاطون في البلاغة العربية من التهميش إلى الاستعادة، مجلة الحوار الثقافي، مخبر حوار الحضارات، جامعة مستغانم الجزائر، ع ربيع وصيف 2015.

(12) سعد البازعي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، ص:299.

(13) - نفسه، ص:300.

وصدرت مؤخرا الطبعة الثانية لكتاب "ضد البلاغة... السلطة والبلاغة والتضليل عند أفلاطون" من منشورات دار رؤية بالقاهرة، 2016. بمشاركة الدكتورين حاتم عبيد ومحمد الولي.

بعد لفت الانتباه إلى تركيز الباحث على التنقيب في كتابات أعلام لم ينالوا حظا وافرا في الدراسات البلاغية العربية مثل أفلاطون، نشير كذلك إلى أن همّ كتابة تاريخ جديد للبلاغة الكونية هو أحد مسارات مشروع الباحث، فعماد عبد اللطيف له طموح كبير يجسده مشروع ضخم تصبح فيه بلاغة الجمهور جزءا منه، وهذا المشروع الكبير يتكون من عدة مسارات أهمها بلاغة الجمهور ومسار مراجعة جذور علم البلاغة لاستكشاف بلاغات مهمشة، وهذا الاستكشاف يتعلق برغبة في إعادة كتابة تاريخ علم البلاغة على نطاق كوني على الرغم مما يعترض ذلك من صعوبات. أما باقي المسارات الأخرى[14] فيمكن ضمها إلى مباحث "بلاغة الجمهور" من إعادة النظر في وظيفة البلاغة ومناهج تحليلها وفتح أفق تحليل خطابات الحياة اليومية وإعادة تعريف مفهوم الجمهور ثم تقريب البلاغة من القارئ العادي، فـ«البلاغة أيضا حقل خبرة إنسانية، وممارسة تواصلية يومية، يحتاج جل البشر -وعوا بذلك أم لم يعوا- إلى الإفادة من الإسهامات المعرفية فيه».[15]

وهذا عمل يحتاج إلى تضافر جهود عدة باحثين لأن باحثا واحدا ليس بمقدوره إنجاز الشيء الكثير مهما رصدت له من إمكانات، ليصبح هذا العمل المنوط ببلاغة الجمهور في إطار عمل مؤسسي وليس على مستوى الأفراد، والوعي بهذا العمل الجماعي نجده حاضرا في تصور الباحث وهو يطور مشروعه، ودلالة على ذلك نقتبس إشارة جاءت على هامش إحدى الصفحات يذكر فيها الباحث ما يأتي: «يقود كاتب هذا البحث [عماد عبد اللطيف] فريق عمل مكونا من ثمانية باحثين لدراسة استجابات الجمهور في مدونة ضخمة من الخطب المصرية فيما بين 1952-2010، بدعم من جامعة القاهرة»،[16] فإذا كان حديثه هنا عن بلاغة الجمهور فما بالك بحديثه عن مشروعه الكبير. كما أن الباحث فتح أفقا غير مألوف في الدرس البلاغي، يقترح فيه دراسة استجابات الجمهور للأدب في التراث العربي في سياق التواصل المباشر، يقول: «ويتبادل الأديب (أو راويه) مع الجمهور الاستجابات المنتجة وجها لوجه؛ مثل الاستحسان أو الاستهجان، طلب التكرار أو التشويش، طلب التفسير أو التعليق...»[17]، ولا يكتفي بالإشارة فقط، بل يوجه مرتاد هذا المسلك بمجموعة من الخطوات المنهجية، وستكون لنا وقفة مع هذه الإشارة في القسم الثالث من هذا المقال.

---

(14) عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي، بحث في البلاغة المهمشة، ص:196.

(15) عماد عبد اللطيف، مناهج الدرس البلاغي العربي المعاصر، ص:252.

(16) عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟، هامش ص:35.

(17) نفسه، ص:144.

وتبقى المهمة الكبرى متجلية في دراسة مفاهيم بلاغة الجمهور من مقاربة إبستمولوجية وعدم الاكتفاء بالجانب اللغوي والمعجمي لتلك المفاهيم، كما يمكن البحث في مدى قدرة تلك المفاهيم على محاورة مفاهيم مشاريع بلاغية أخرى في إطار حوار كبير بين المشاريع البلاغية العربية على وجه الخصوص.

وفي هذا السياق تساءل الباحث حيدر سلامة عن الداعي إلى ظهور بلاغة الجمهور بوصفها مشروعا وليس نظرية قائلا بأن «ذلك المشروع البلاغي لم يأخذ بعين الاعتبار البحث في الأدبيات الفلسفية واللسانية عن مفهوم المخاطب/ المتكلم، الأمر الذي جعله أشبه بمشروع يظهر من العدم، وكأن هذا المفهوم حكر على تاريخ البلاغة وحدها».[18] كما جعل مركزية المتكلم التي يحاول عماد عبد اللطيف تقويضها هي موجودة كذلك في تاريخ الفلسفة وليست حكرا على البلاغة، ومن ثم، قال بـ«أن البحث عن تاريخ هذه النظرية وصناعة تاريخ بديل لها، لا يمكن تحديده ضمن تاريخ البلاغة العربية فقط، وإنما له تمفصلات وتداخلات كبيرة مع مجمل مشاريع الثقافة العربية عامة والفلسفية خاصة»،[19] بل ذهب إلى أبعد من ذلك، إذ تمثل بلاغة الجمهور بحسب رأيه «"المخرج التاريخي" لأزمة العقل والعقلانية في تاريخ الثقافة العربية»،[20] بشرط أن تحقق بلاغة الجمهور التفاعل مع المشاريع الفكرية العربية الكبرى من قبيل مشروع محمد عابد الجابري وزكي نجيب محمود وعبد الله العروي وحسين مروة وغيرهم، بالإضافة إلى بحثها في حقول الفلسفة عبر مراجعة الأسس النظرية والفلسفية والإبستمولوجية.

ثانيا: من العمل الفردي إلى العمل الجماعي

أسّس الباحث مشروعه البلاغي ولم يضع له إطارا تحليليا قائم القواعد لدراسة استجابات الجماهير، لأن بلاغة الجمهور، في بدايتها، «لا تقدم حزمة من الإجراءات والعمليات المحددة التي تطبق على ظاهرة ما»،[21] ولكن دراساته فيما بعد كانت توضح ملامح ذلك الإطار المفتوح على اجتهادات الباحثين الذين ينضمون إلى الكتابة في مشروع بلاغة الجمهور وخاصة من زاوية توضيح إمكان الاستفادة من هذا الحقل البلاغي الناشئ.

ظهر مشروع بلاغة الجمهور في الساحة العربية بفضل المجهودات الفردية لصاحبه، وقد دامت هذه الفترة زهاء اثنتي عشرة سنة، وهو ما أسلفنا الحديث عنه، وبموازاة هذا المسار، ظهر العمل الجماعي الذي دعا إليه الباحث؛ فالتف نتيجة ذلك مجموعة من الباحثين ذوي مشارب مختلفة، أسهموا في تسليط الضوء

---

(18) -حيدر علي سلامة،نقد أيديولوجيا المنهج والنظريةبحث في لغة اللغة لبلاغة الجمهور"، على الرابط:
http://www.alkalimah.net/Articles/Read/19271

(19)نفسه.

(20)نفسه.

(21)عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟، ص:29.

على مجموعة من القضايا البحثية من زوايا متعددة، كما تجدر الإشارة إلى اشتغال مجموعة من الطلبة الباحثين على هذا المشروع البلاغي الجديد في إطار رسائل جامعية، غير أن هذه البحوث لما تنشر، بالإضافة إلى كتاب "بلاغة جمهور الخطاب السياسي" لعبد الوهاب صديقي؛ غير أننا سنركز في حديثنا عن فترة العمل الجماعي على مُؤَلَّفَيْن اثنين، هما: الكتاب الجماعي الصادر سنة 2017، ثم العدد السادس من مجلة العمدة سنة 2019.

العمل الجماعي الأول 2017:[22] مفاهيم بلاغة الجمهور بين التنظير والتطبيق

نسعى بدراسة هذا الكتاب إلى البحث في مدى تطابق المشروع البلاغي لبلاغة الجمهور مع منجزه، من خلال ما يضمه من دراسات وُزعت بين قسمين: نظري وآخر تطبيقي، تلحم بينهما دراسة افتتاحية تُعرِّف بهذا التوجه البلاغي الجديد؛ ومن ثم سنرصد من خلال القسم الأول للكتاب أهم ما تطرحه بلاغة الجمهور من أدوات ومفاهيم[23] أمام الباحثين في تحليل الخطاب، ثم نتتبع مع القسم الثاني حضورها في خطابات محللة، أي حضورها على المستوى الإجرائي، متبعين في ذلك الوصف والتحليل وتقييم العمل في خلاصة.

وأول ملاحظة يمكن تقديمها قبل البدء في دراسة مفاهيم هذه البلاغة، هو أن تلك المفاهيم حضرت في كتاب جماعي لتحليل خطابات متنوعة؛ وهذا ما يجعل التحدي أكبر في معالجتها في خطابات تختلف مع الخطاب الذي أنتجها أول مرة وهو الخطاب السياسي،[24] ويبقى السؤال هو عن مدى طواعية مفاهيم -تمخضت عن رحم الخطاب السياسي لخطابات أخرى مغايرة له، في محاولة للتجريب وتوسيع دائرة الاشتغال، ولعمري إن ذلك لهو التحدي الأكبر لهذا المشروع البلاغي الذي يسعى إلى مجابهة كل الخطابات في مستوى التجريب، مع العلم أنه حدد غايته منذ بدايته على أنه مشروع بلاغي يهدف إلى ترشيد استجابات الجمهور في الأفضية العمومية، سواء الواقعية أو الافتراضية مع التطور التكنولوجي لمقاومة كل خطاب سلطوي وكشف تلاعباته وفضح تضليلاته وتعريتها.

1- مفهوم السلطة

إن استحضار تصنيف عماد عبد اللطيف البلاغة العربية في علاقته بمفهوم السلطة؛ يمكننا من استخلاص نتيجة مفادها أن الرؤية التي أسس عليها مشروعه

---

(22) بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.

(23)نرى أن بلاغة الجمهور تقوم على ثلاثة مفاهيم أساسية، هي الجمهور، والسلطة، والاستجابة، أما مفهوم الجمهور، فقد تناولناه بالتفصيل في دراسة سابقة، بعنوان: "مفهوم الجمهور بين البلاغة العامة وبلاغة الجمهور"، مجلة العمدة، مرجع مذكور، ولذلك سنكتفي هنا بدراسة مفهومي السلطة والاستجابة.

(24) - نمثل لكتب عماد عبد اللطيف ذات البعد السياسي بـ:(بلاغة الحرية، منشورات دار التنوير/ استراتيجيات الخطاب الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب/لماذا يصفق المصريون؟، منشورات دار العين).

البلاغي، قائمة على اعتبار أن البلاغة الإنشائية بلاغة سلطة تخدم المتكلم وتجعل المخاطبَ هدفاً مقصودا لها. إن هذه (السلطة) التي «تتحدد بمعيار السيطرة والتحكم»[25] كانت السمة البارزة في هذا المشروع؛ لأنها نظرت من الجهة المقابلة جهةِ الجمهور، فـ«بلاغة الجمهور تحاول ارتياد طريق معاكس للدرس البلاغي التقليدي، من زاوية التركيز على استجابات جماهيرية، مجهولة المؤلف متعددة العلامات، متداولة في فضاءات عامة مفتوحة، بواسطة مقارنة نقدية تسعى لتعرية التلاعب»،[26] هذه النظرة العكسية جعلت بلاغة الجمهور تكشف سلطوية بلاغة المتكلم، حتى إن مفهوم السلطة -في سبيل مقاومتها- شكل تعريف هذا التوجه البلاغي؛ إذ «يقصد ببلاغة الجمهور البلاغة التي تواجه وتقاوم الأثر البلاغي لبلاغة السلطة»،[27] ونحن نعلم أن حضور هذا المفهوم في الخطابات السياسية يكون أوضح مقارنة بخطابات أخرى، وهذا الأمر يُفسَّر بعكوف الباحث عماد عبد اللطيف على الخطاب السياسي في اشتغاله. ونتساءل هنا عن كيفية حضور مفهوم السلطة وتمثله في دراسة الخطابين الديني والسردي؟

لن نتوقف بشكل طويل مع الدراسات التي اشتغلت على الخطاب السياسي، فهذه الدراسات تعاملت مع هذا المفهوم بشكل سلس لأنه أُسُّ بلاغة الجمهور القائمة على تقويضه، فالبحث في هذه البلاغة يستقصي أولا البحث عن مكامن سلطوية خطاب المتكلم، للكشف عنها وفضحها وتعريتها أمام الجمهور، إلا أن هذه السلطة قد تكون "شرعية"، ومن ثم؛ فما الداعي إلى نقدها بهدف تقويضها؟ كحضور مفهوم السلطة في تحليل الخطاب الديني، إن هذا الخطاب قد يكون ذا تضليلات وتلاعبات إذا وُظف لأغراض تخدم سلطة المتكلم وتُقَوِّيها دون التصريح بها؛ فذلك غرض بلاغة الجمهور ومهمتها التي تعهدت بها، إذ في هذا المقام تدافع عن الجمهور بكشف تلاعبات الخطاب وتضليلاته أمامهم ودعوتهم إلى تشكيل استجابات بليغة؛ فما قيام بلاغة الجمهور إلا لتقويض الخطابات السلطوية.

لقد كان هذا المفهوم حاضرا على مستوى التنظير بشكل كبير، استوعبه الباحثون كلهم، لا تخلو دراسة من دراسات العمل من ذكره نظرا للمكانة التي حظي بها في تشكيل هذا التوجه البلاغي القائم على كشفها بالوقوف على المفارقات بين الخطابات والواقع، ثم تبرير حضوره على المستوى الإجرائي لتحليل الخطابات وبخاصة تلك التي تنتسب إلى الخطابين الديني والسردي. وما يلحظ عنه أنه كان ملازما للخطاب السياسي بشكل كبير، ويرجع ذلك إلى تلازم العلاقة بين البلاغة بصفة عامة والخطاب السياسي -وهو تلازم قديم ظهر مع أرسطو- فكلاهما يشغله مدى حضور التأثير والإقناع في الجمهور بالاستحواذ على الفضاء البلاغي وإن

---

(25) عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب، ص:13.

(26) عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي، بحث في البلاغة المهمشة، ص:200.

(27) عبد الوهاب صديقي، بلاغة الجمهور مفاهيم وقضايا، ص:118.

من زاويتين مختلفتين. فـ«السياسة والبلاغة والسلطة يشكلون حزمة من المصطلحات وثيقة الارتباط»،[28] وهي تشير إلى النتيجة التي استخلصها أندريو أ. كينغ Andrew.AKing ومفادها أن «العديد من دراسات الخطاب السياسي تتبع من موضوعات السلطة»،[29] لذلك يتجدد سؤال البحث عن مفهوم السلطة في الخطابين الديني والسردي، وعن كيفية حضوره فيهما.

أ ـ السلطة والخطاب الديني

اختلفت نظرة الباحثَيْن (حامدة تقبايت وضياء الدين محمد) في حضور مفهوم السلطة على مستوى الخطاب الديني، ففي حين أفرغت الباحثة حامدة مفهوم السلطة من دلالته السياسية القائمة على السيطرة والتحكم في الجمهور وحاولت إعطاءه دلالة مغايرة، قائلة: «ولكن يبقى التساؤل ها هنا فيما ما إذا استطاع خطاب الفتوى انطلاقا من هذه الحصة الإعلامية من أن يفرض سلطة معينة على المتلقي ـ**والسلطة التي نقصدها هنا ليست بالمفهوم السياسي الداعي إلى السيطرة وإنما بمفهوم التأثير والإقناع لا السيطرة؟**»[30] وقد تكررت العبارة نفسها في موطن آخر تأكيدا منها على شحن مفهوم السلطة بدلالة مغايرة غير دلالته السياسية، تقول: «وعليه يتأسس نوع من السلطة ـ**وليست السلطة هنا بالمفهوم السياسي**ـ وهي سلطة تتضمنها الفتوى في حد ذاتها إلى جانب نوع من الطرح التساؤلي الناقد لتلك السلطة – في الفتوى – من قبل المخاطب».[31] وما يلاحظ على الباحثة أن شحنها مفهوم السلطة بدلالة مغايرة لم يتجاوز (التأثير والإقناع) ولا يمكن بأي حال قبول هذه الدلالة تمييزا للسلطة في الخطاب الديني من غيرها؛ لأن التأثير والإقناع حاضران في أي خطاب آخر بل في كل خطاب مهما كان نوعه، وخاصة حين قبوله في التحليل البلاغي؛ لأن بلاغة الجمهور تأسست أساسا على دراسة الخطابات المتنوعة من هذا الجانب، فـ«كونها خطابات بلاغية يعني أن وظيفتها تتجاوز مجرد الإخبار إلى الإقناع والتأثير»،[32] فهذان الجانبان حاضران ضمنيا في كل خطاب تجابهه بلاغة الجمهور؛ ومن ثم، لا يمكن الاطمئنان إليهما في عملية تحديد مفهوم السلطة في الخطاب الديني. وما نستخلصه من هذه الدراسة هو أن الباحثة تجعل مفهوم السلطة يأخذ دلالة التأثير والإقناع لا يتجاوزهما إلى السيطرة والتحكم.

نجد في المقابل الباحثَ ضياء الدين محمد، يساوي بين الخطاب الديني وباقي الخطابات الأخرى في علاقاتها بمفهوم السلطة محافظا على معناه السياسي، الذي

---

(28) كينغ (أندريو أ.) A. King Andrew: "البلاغة والسلطة Rhetoric and power"، ترجمة عبد اللطيف (عماد)، ج3/ ص:320.

(29) نفسه، ج3/ ص:325.

(30) حامدة تقبايت، بلاغة الجمهور في تلقي الخطاب الديني، ص:186. [التشديد من عندنا]

(31) نفسه، ص:194.

(32) عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب، ص:8.

رسّخه عماد عبد اللطيف، القائم على معيار السيطرة والتحكم، فهذا المفهوم قد يحضر في كل خطاب كيفما كان، ومن ذلك الخطاب الديني، وتتجلى سلطوية الخطاب الديني -حسب الباحث- في إمكان قيام هذه السلطة على المستوى التواصلي بين الواعظ والمتدين، فـ«العلاقة بين الواعظ والمتدين تفترض من البداية نمطا سلطويا يقوم على أساس "من يعلم في مقابل من لا يعلم"»،[33] وينتج عن هذه العلاقة (السلطوية) «أن المتدين يتطلع إلى ما عند الواعظ من علم، حيث إن موقف الصمت والإنصات موقف اختياري بالنسبة للمتدين».[34] ولكن الأمر المستضمر في هذه العلاقة التواصلية السلطوية في علاقتها ببلاغة الجمهور هو أنها تشي بـ«حدوث ضعف شديد وصل إلى حد الانعدام للحس النقدي في تلقي الخطاب الديني».[35] وهذا يشكل مسعى بلاغة الجمهور في ترشيد مثل هذه الاستجابات حتى تكون ناقدة متيقظة لا تركن إلى أي خطاب إلا بعد ممارسة نقد تُميّز من خلاله خطابا سلطويا يسعى إلى السيطرة عليها من خطاب يسعى إلى تحريرها. وقد ميز الباحث بين نوعين من الخطاب الديني باعتبار السلطة، «النوع الأول يقف فيه الخطاب عند حدود السلطة المقبولة التي يسمح بها المخاطب لإتمام العملية التواصلية بغرض التعلم والانتفاع بما لدى الواعظ. أما النوع الثاني فتتجاوز فيه السلطة حدودها الطبيعية ويصبح الخطاب نسقا من الحيل والخدع الدينية البلاغية بهدف توجيه المخاطب وجهة محددة تكون في الغالب مخالفة لمصالحه، ناهيك بكونها غير دينية في النهاية».[36] لكن إذا كان النوع الثاني واضحا وميدانا لاشتغال بلاغة الجمهور عليه، فالنوع الأول الذي يسمح **بسلطة مقبولة**، لا يسهل تقبله، فهذه المقولة تظهر على أنها تلغي إعمال النقد في هذا النوع من الخطاب الديني؛ ولذلك لا نرى فرقا بين النوعين من جهة الجمهور الذي عليه أن يشغل كفاءته النقدية في كل خطاب يتلقاه، فحتى التسليم بهذين النوعين لا يَسْلَمُ إلا بالنقد الذي ميز بينهما. وقد تنبه الباحث في موطن لاحق إلى ذلك أثناء التحليل تحت مفهوم الاستجابة النقدية، إذ يقول: «وأقصد بالاستجابة النقدية: الاستجابة التي تضع الخطاب الديني موضع المساءلة وتستخدم مهارات الجدل والحجاج في مناقشة ما ورد فيه، دون التعرض بالإساءة أو التجريح لمنشئ الخطاب»،[37] وسنفصل ذلك في الجزء المتعلق بمفهوم الاستجابة.

ب ـ السلطة والخطاب السردي

تعاملت الدراسات المنتمية إلى تحليل الخطاب السياسي مع مفهوم السلطة بشكل سلس مستثمرة إياه في تحليلها بشكل أساس، وذلك لتلازم البلاغة والسياسة منذ

(33) ضياء الدين محمد، بلاغة جمهور الخطاب الديني في الفضاء الافتراضي، ص:209.
(34) نفسه، ص: نفسها.
(35) نفسه، ص:210.
(36) نفسه، ص: نفسها.
(37) نفسه، ص:231.

القدم كما أسلفنا الذكر، بالإضافة إلى أن مفهوم السلطة نابع أولا من تعرض بلاغة الجمهور للخطابات السياسية والكشف عن سلطتها منذ بدايتها مع عماد عبد اللطيف. لذلك تطلعت هذه الدراسات إلى دراسة استجابات الجماهير من جانبها الحجاجي، وتبعا لذلك، لن نستقصي حضور مفهوم السلطة في هذه الدراسات؛ فقد حضر فيها كلها بمعناه الدال على التحكم والسيطرة، ولذلك ننتقل إلى حضوره في خطاب جديد على بلاغة الجمهور وهو الخطاب السردي.

إن اقتحام بلاغة الجمهور دائرة الخطاب السردي، قد تجابهه إشكالات مرتبطة بالخطوط التي سطرتها بلاغة الجمهور لنفسها لتحديد مجال اشتغالها بشكل واضح ومفهوم، من ذلك أن الاستجابات التي تعنى بها هي استجابات جمهور طبيعتها التعددية في فضاء بلاغي تقاوم فيه بلاغة أخرى متمثلة في سلطة خطاب المتكلم، وليس استجابات فردية تكون نظرية التلقي أجدر بدراستها، ومن ثم فما يمكن التساؤل عنه هو كيف يمكن دراسة خطاب سردي في ارتباطه بمفهوم السلطة؟ وكيف تحدد السلطة في الخطاب السردي من وجهة بلاغة الجمهور؟ وما الاستجابات التي يجدر ببلاغة الجمهور دراستها؟

سنحاول رصد علاقة بلاغة الجمهور بالخطاب السردي في إطار مفهوم السلطة، كما سنحاول لاحقا رصد استجابات الجمهور في الخطاب السردي في ضوء مفهوم الاستجابة.

تعد استجابات الجمهور شكلا بلاغيا يجسد طبيعة العلاقة بين سلطة خطاب المتكلم والجمهور من خلال آليتي الإقناع والتأثير، في إطار تفاعلي بين الطرفين، «غير أن هذه الأدوار التي تؤكد درجة من الاستجابة، تؤكد في الوقت نفسه قهر الجمهور؛ لأنه لا يملك القدرة على التغيير فيما يلقى عليه».[38] إذن، مفهوم السلطة في الخطاب السردي يتحدد بكون الجمهور مقهورا ومغلوبا على أمره في تلقي هذا الخطاب، وغير قادر على إحداث التغيير فيه، ولهذا التحديد علاقة بمفهوم السلطة في الخطاب السياسي خاصة، ولكن الاختلاف قائم من جهة أن الجمهور مع بلاغة الجمهور قادر على التغيير والمقاومة باستجابات تنجز ذلك، فكيف يمكن الحديث عن المقاومة والتغيير مع جمهور الخطاب السردي؟

إن الحديث عن مقاومة خطاب المتكلم وإحداث تغيير فيه مع الخطاب السردي، لا يستقيم الحديث عنه إلا مع خطاب قائم على التفاعل المباشر بين الطرفين، لذلك نجد الباحث خالد أبو الليل يختار نصا شعبيا (السيرة الهلالية)؛ لأن الجمهور «مع النص الشعبي يعد أحد وسائل استمرارية تأليفه واستمراريته، فمع كل أداء جماهيري جديد للنص الشعبي نحن أمام عمل إبداعي جديد؛ نظرا لما يضفيه كل من المؤدي والجمهور مع هذا السياق الأدائي الجديد»،[39] ومن ثم فهذا الأداء

---

(38) خالد أبو الليل، السيرة الهلالية والتلقي الشعبي، ص:368.

(39) نفسه، ص:368.

المتجدد يجعل استجاباته الجماهيرية تؤثر على الراوي مما يجعله يحدث تغييرا في النص ليناسب طبيعة الجمهور الذي يتلقاه.
كما تنبه كذلك الباحث ممدوح النابي إلى هذه السلطة الجماهيرية في إطار الخطاب السردي على مستوى الوسيط الرقمي مشيرا إلى هذه الظاهرة عند الناقد "رونان ماكدونالد" قائلا: «وهي الظاهرة التي استلفتت ناقدا مهما كـ"رونان ماكدونالد" فجاء كتابه "موت الناقد" استجابة لهذا الحراك في العملية الإبداعية».[40] وتتمثل سلطة الخطاب السردي كذلك فيما تؤسس له المؤسسة الأكاديمية من ضوابط على الكتاب الروائيين الالتزام بها حتى يُعترف بهم، وفي حال عدم الالتزام بها تبقى تسمية أدب الظل -مثلا- لصيقة بتلك الأعمال في مقابل الأدب الرفيع، على الرغم مما قد تحققه تلك الروايات من مبيعات وانتشار بين أيدي القراء على المستوى الدولي، هذا الانتشار الذي قد يصبح سلطة تجعل المؤسسة النقدية الأكاديمية تعترف بمثل تلك الأعمال، وخاصة أن هذه السلطة الجماهيرية تلقي ببلاغتها في فضاء رقمي له امتداد غير محدود، سلطة تؤثر بشكل كبير على القراء أنفسهم في إقناعهم بقراءة رواية ما أو الإعراض عنها؛ إذ ينتقلون من حيز التلقي إلى الفعل والشروع في القراءة أو تركها إن كانوا قد عقدوا العزم على ذلك. ولكن هذه السلطة الجماهيرية في الخطاب السردي لا يمكن أن تتضمن -بشكل حتمي- قيمة الأفضلية على ما تطرحه المؤسسة النقدية الأكاديمية، فبون شاسع بين الذائقة والمعرفة.[41] وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى خطورة السلطة "الرقمية" التي تصبح في ملك الجمهور المتلقي للأعمال الأدبية، والتي من شأنها أن تعلي الذائقة الأدبية على حساب التبرير العلمي لها،«وهو سبب يفسر الزحف المتوالي لمواقع القراءة التي انتشرت بكثرة، وصار القراء أشبه بنقاد ولكنهم غير رسميين يمارسون سلطة على الكاتب وربما سلطتهم أقوى من الناقد وهو ما جعل الكتاب يسعون دوما إلى استمالة هذا القارئ العادي وجذبه، بوصفه الجمهور الأكبر والأهم بالنسبة للتسويق والتوزيع...».[42] وفي مثل هذه الأحوال تبرز أهمية الحديث عن البعد البيداغوجي الذي تعهدت به بلاغة الجمهور تجاه الجماهير ترشيدا لاستجاباتها.

2- مفهوم الاستجابة

ترتبط مقارنة المخاطب بين نظرية التلقي النقدية وبلاغة الجمهور البلاغية بالاستجابات كذلك؛ فـ«الاستجابات مع بلاغة الجمهور مختلفة تماما، فهي استجابات قد تكون لفظية أو غير لفظية (حركية، وإشارية) وتكون مدونة أوغير مدونة مثل (التصفيق، والهتافات)»،[43] ومن البداهة أن حديثنا عن الجمهور لن

---

(40)ممدوح فراج النابي، السلطة الخادعة... والوعي الزائف، ص:418.
(41) نفسه، ص:423، (بتصرف).
(42)نفسه، ص:433.
(43) صلاح حسن حاوي،بلاغة الجمهور ونظريات التواصل، ص:113.

يستقيم، دون أن نعرج على استجاباته؛ إذ لا يمكن الحديث عن الجمهور بمعزل عن الاستجابة في بلاغة الجمهور، لأن البحث في العلاقة القائمة بين الخطاب والسلطة هو البحث عما يجعل الخطاب يشكل استجابات بعينها دون أخرى وكيف يمكن لهذه الاستجابات أن تؤثر في الخطاب السلطوي في إطار مقام تداولي، وقد شَغَلَ البحثُ عن مرجعيات لهذا المفهوم الباحثَ صلاح حسن حاوي؛ لذلك رجع بمفهوم الاستجابة -في إشارة خاطفة- إلى حقل الإعلام في علاقته بعلم النفس السلوكي حيث الاستجابة تتخذ مفهوما سلبيا تخضع للمثير مع نظرية الرصاصة،«فالفعل هو المنبه الذي ينتجه الإعلام، أما رد الفعل فهو الاستجابة التي ينتجها الجمهور».[44]هذا الجمهور الذي أضحى إيجابيا؛ فقد «صار متغيرا يحدث تأثيرا محدودا على وفق نظرية التأثير المحدود التي ظهرت عام 1940».[45] يمكن ربط الاستجابة بفعل التواصل في مقابل الاتصال السائد مع البلاغة الإنشائية، فهذه البلاغة «اتصالية أكثر منها تواصلية، لأنها تعتمد على نقل المعارف والأخبار والأحداث عبر كلام يمتاز بالإقناع والتأثير».[46] ولعل الوقوف على كل بلاغة على حدة بمعزل عن الأخرى سيجعلنا أمام بلاغتين اتصاليتين لا تواصليتين حتى مع بلاغة الجمهور، ومن هنا يكون الإبقاء على البلاغة الإنشائية خادما لهذه القضية في عملية دمج بينهما إبان التحليل؛ فبلاغة الجمهور تواصلية لأن «الخطاب المنتَج من المتكلم ويقابله خطاب الاستجابة من المخاطَب يشكل عملية تواصلية».[47]

غير أن عطف بعض المصطلحات على بعضها دون ذكر الفروق بينها من شأنه أن يوقع القارئ في التداخل بينها دون تحديد تمايزاتها، مثلما نقرؤه من قبيل «**وهو بلاغة الجمهور أو استجابات الجماهير**».[48] فالعطف بـ"أو" قد يُفهم منه التخيير بين تسميتين مترادفتين بل متطابقتين، لكن الأمر عكس ذلك فاستجابات الجماهير تشكل فقط جزءا من المادة البلاغية إضافة إلى المقام التواصلي. أي إنها جزء من هذه البلاغة ينضاف إلى أجزاء أخرى تشكلها، ومثل هذا العطف قد يلبس على القارئ الحدود الفاصلة بين المصطلحات والمفاهيم في التصور قبل الإجراء، لأننا ونحن على المستوى التنظيري نقرأ مع الباحث عبد الوهاب صديقي تعريفا لبلاغة الجمهور كالآتي:«لقد وقفنا سابقا عند هذا المفهوم وهو مدار الدراسة كلها؛ أي **بلاغة الجمهور** التي تعلي من شأن المخاطَب، وتمده بآليات تجعله يقاوم بلاغة السلطة السياسية والإعلامية والتعليمية. الخ، بحيث ينتج

---

(44)نفسه، ص:100.

(45)نفسه، ص نفسها.

(46)نفسه، ص:101.

(47)نفسه، ص نفسها.

(48)نفسه، ص:104. [التشديد من عندنا]

المخاطب **استجابات** مقاومة لأثرها البلاغي، مدركا لتحيزاتها وتغليطها، ومفارقاتها للواقع». [49]

إن مفهوم الاستجابة مرتبط في بلاغة الجمهور بالبعد المادي المرئي الذي ينتجه الجمهور بتعرضه لخطاب ما، فصاحب المشروع يتبنى «مفهوما للاستجابة يقرنها بالأفعال اللفظية وغير اللفظية التي ينتجها المتلقي في سياق محدد، استجابة لخطاب آخر». [50] ولكن إذا كانت بلاغة الجمهور تستبعد (الاستجابات) الفردية التأويلية المتعلقة بالنصوص الأدبية مع نظرية التلقي في مقابل الاهتمام بالاستجابات المادية الجماعية، فكيف درس المهتمون ببلاغة الجمهور الخطاب السردي في هذا العمل من زاوية هذه البلاغة؟ وكيف يمكن الحديث عن استجابات جماهيرية لخطابات أدبية؟

يمكن الخروج بداية من هذا الإشكال بالنظر إلى أن استجابات الجماهير بصفة عامة في بلاغة الجمهور هي «المنتج المادي الظاهر أثناء التواصل» [51] وليس التأويل الفردي (= غير الظاهر). وليس الأمر مقصورا على خطاب معين فبلاغة الجمهور تراهن على وجودها من خلال دراسة استجابات الجماهير، لأن «غاية تأسيس حقل معرفي لدراسة استجابات الجمهور من منظور بلاغي هي استكشاف إمكانية تأسيس هوية جديدة للبحث البلاغي، ليس العربي فحسب بل الكوني أيضا. هذه الهوية التي تقوم على خصوصية المادة المدروسة، والوظيفة، والسؤال المعرفي؛ لا تمثل هوية إقصائية لكينونة البلاغة التقليدية، بل هي هوية إضافية». [52]

لا يمكن النظر إلى الخطاب السردي من منظور بلاغة الجمهور، دون الحديث عن أس هذه البلاغة القائم على مفهوم السلطة الذي يبرزه التفاعل بين بلاغتي الجمهور والمتكلم؛ وعن مفهوم الاستجابة باعتباره ردود أفعال لجمهور يجابه خطاب المتكلم؛ ولذلك نجد الباحث خالد أبو الليل يستهل دراسته للخطاب السردي بالفقرة الآتية: «يمكن القول -من منظور علاقات القوة بين القارئ/ الجمهور والنص الأدبي المدون- ((إن هناك علاقة سيطرة أو تبعية أو تكافؤ بين القارئ والنص))؛ ومن ثم فإن دور الجمهور سلبي في تلقي فنون الرواية والشعر والقصة القصيرة عند قراءتها بمعزل عن مؤلفها. رغم وجود النظريات الحديثة التي تعتد بدور القارئ»، [53] فهذه الفقرة تبحث ضمنيا عن تسويغ دراسة الخطاب السردي من زاوية بلاغة الجمهور، ويبدو ذلك جليا من خلال مقترحه للدراسة؛ إذ يقول: « درجة المشاركة الجماهيرية أعلى مع تلقي الفنون التي تعتمد على الأداء

---

(49) عبد الوهاب صديقي، بلاغة الجمهور.. مفاهيم وقضايا، ص:124. [التشديد من عندنا]

(50) عماد عبد اللطيف، منهجيات دراسة الجمهور، ص:143.

(51) نفسه، ص:144.

(52) عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟، ص:27.

(53) خالد أبو الليل، السيرة الهلالية والتلقي الشعبي، ص:367.

والمواجهة المباشرة، من خلال ردود أفعال الجماهير»؛[54] لذلك، فدراسته لأشكال الاستجابة الجماهيرية للسيرة الهلالية، جعله يتناول استجابات متداولة في سياق تواصلي قائم على التفاعل بين المتكلم والجمهور، فالنص المختار يجمع بين بعدين المدون والشفاهي، وهما بعدان يلتقيان في منطقة تلحم بينهما وهي الأداء، وقد ضَمِنَ البعدُ الشفاهي للباحث الحصول على استجابات متنوعة لنص السيرة الهلالية، أساسها التفاعل بين المدون والشفاهي لهذا النص.

أما فيما خصائص استجابات الجماهير، فقد استند إليها الباحث عبد الوهاب صديقي، كما هي عند عماد عبد اللطيف، وهي تتمثل في: الآنية، وضعف خضوعها للرقابة، وضخامتها وتعددها، والقابلية لتجهيل مصدرها، وقابليتها للحصر والقياس؛[55] فرصدها في استجابات الجمهور المغربي لقانون مالية 2016 المغربي، ثم تتبع بينتها الحجاجية. لقد نظر إلى استجابات بلاغة الجماهير في دراسة بنيتها الحجاجية بالمنظار نفسه الذي نظرت به بلاغة الجمهور إلى خطاب بلاغة المتكلم، ومن ثم فهذه الدراسة تخدم البعد البيداغوجي لترشيد استجابات الجمهور، لأنها نقد ذاتي إجرائي على تلك الاستجابات، عبر الفضاء الرقمي، «فمما يكون لزاما التأكيدُ أن خطاب الجمهور الرقمي اليوم يحتاج إلى استيفاء شروط التخاطب والمحاججة التي تحتكم للعقل وتعلي من شأن الحوار، حتى لا تستحكم فيه بلاغة الباتوس بدغدغة العواطف والسخرية والتحريض حد العنف»،[56] والملاحظ على دراسة الباحث عبد الوهاب صديقي أنها الدراسة الأكثر توظيفا لمفاهيم بلاغة الجمهور، إذ نجده يوظف الاحتشاد البلاغي، والفضاء البلاغي، والحيز البلاغي، وسرديات الماضي، والتناص، وغيرها من المفاهيم، ويرجع السبب في ذلك إلى جرده مفاهيم بلاغة الجمهور* في شكل معجم لهذه البلاغة. ونشير في هذا السياق إلى أن بلاغة الجمهور في حاجة -فيما بعد- إلى إنشاء معجم خاص بها يُسهل على متتبعيها فهم الإطار النظري لها برصد خلفيات تلك المفاهيم وما تنطوي عليه بلاغاتها، ولن يتأتى ذلك إلا بعد الاستقرار على تعاريف بلاغية مقبولة لدى الباحثين في هذا الحقل المعرفي الجديد، تُحَوِّلُ المفاهيمَ إلى مصطلحات.

كما تتبعت بسمة عبد العزيز استجابات الجماهير الانتقادية في مظهريها اللفظي والسميائي ونظرت إلى معان ثاوية مستترة وأخرى مباشرة صريحة في تلك الاستجابات، ويتضح جليا اعتمادها آلية التأويل المشروط بعلامات لغوية وغير لغوية وسياق تداولها في استخراج تلك المعاني المستترة في الاستجابات الانتقادية

---

(54)نفسه، ص نفسها.

(55)حدد عماد عبد اللطيف هذه الخصائص في كتابه "بلاغ الحرية" (ص:59-60)، وزاد عليها خصائص أخرى، انظر عماد عبد اللطيف "الحجاج والبذاءة"، ص:36-37.

(56) بلاغة الجمهور والخطاب السياسي المغربي المعاصر في الفضاء الرقمي، ص:361.

* عبد الوهاب صديقي، بلاغة الجمهور مفاهيم وقضايا، من ص:118 إلى ص:135.

للجماهير، كما تحدثت عن مسألة تطوير الاستجابات البلاغية لمقاومة الخطابات السلطوية.

استجابات الجماهير والإيديولوجيا

ارتبط البحث في دراسة استجابات الجماهير وتحليلها بالبعد الإيديولوجي كثيرا، حتى مع الخطاب الديني، وهذا ما استخلصته الباحثة حامدة تقبايت قائلة: «ما يمكن ملاحظته من خلال الخطاب الديني الموجه عبر الفضائيات هو: هيمنة الاتجاه الإيديولوجي في العديد منها، إذ يظهر الخطاب فيها -غالبا- مسيرا وليس حرا فيما يرد فيه، لهذا عكف الجيل الجديد من الجمهور/ المتلقي على الانتقال إلى وجهة أخرى جعلها الجمهور المتلقي متنفسا للتعبير وحرية الرأي، وهذا ما وفرته مواقع الانترنيت»،[57] لذلك نجد التحذير من الاستغلال الإيديولوجي لاستجابات الجماهير التي قد تفقد معه قيمتها بوصفها استجابة تحررية لتسقط في شركه. وهذا ملمح إلى البحث عن سبيل ترشيد الاستجابات البلاغية للجماهير التي ينتظر منها أن تكون واعية ومدركة للفضاء البلاغي موقعة المعركة بين منشئ الخطاب ومستهلكه، وهو جانب أدركته بلاغة الجمهور منذ نشأتها بنهج جانب بيداغوجي لهذا الغرض. لقد حضر هذا المسعى في تحليل الباحثة بسمة عبد العزيز، إذ توكل أمر تطوير الاستجابات الجماهيرية إلى الفئة المثقفة، فما تنتجه هذه الفئة "يفترض فيه أن يقدم نموذجا متحررا من قيود السلطة وأصفادها، وأن يطرح خطابا أكثر بلاغة واتساقا من خطابها تجد فيه الجماهير بديلا مناسبا يمكنها من تطوير بلاغتها الخاصة»،[58]نظرا لتمكن هذه الفئة من ناصية اللغة التي توظفها السلطة في خطابها للتلاعب بالجماهير. ولا يقتصر الأمر على هذه الناحية، بل لابد أن يمتد هاجس تطوير بلاغة الجمهور «لتشمل توجيه الانتقاد إلى الجماهير نفسها وتشجيعها على ممارسة النقد الذاتي كوسيلة لتحسين أدائها من ناحية، ولكشف مواطن الضعف التي تستغلها السلطة في النفاذ إليها والتلاعب بها من ناحية أخرى»،[59] غير أن هذا الترشيد يجب ألاّ ينسينا الوظيفة النبيلة والأخلاقية لبلاغة الجمهور؛ فتحترز من وقوعها في دائرة المغالطات في إنشاء استجاباتها وهذا ما تنبه إليه الباحث أحمد عبد الحميد؛ لأن «مقاومة السلطة بممارسة تلاعب وتضليل مضاد لا يمكن التعويل عليه في التأسيس لعلاقة صحية مبتغاة بين السلطة والجمهور»،[60] لذلك ينشد الباحثون في استجابات الجماهير البعد البيداغوجي لترشيدها حتى يحافظ الجمهور على سلطته المنتزعة من سلطة المتكلم خاصة في الفضاء الإلكتروني (العالم الافتراضي) الذي يتميز بتجهيل المصدر، فقد رُصدت تجاوزات للجماهير متمثلة في العنف اللفظي مثلا، «ولذا لا

---

(57) حامدة تقبايت، بلاغة الجمهور في تلقي الخطاب الديني، ص:203.

(58)بسمة عبد العزيز، بلاغة المقاومة.. الجمهور وخصائص الاستجابة النقدية البليغة، ص:307.

(59)نفسه، ص:309.

(60) أحمد عبد الحميد عمر، يسقط يسقط إبلاغة الجمهور بوصفها ممارسة حجاجية، ص:271.

بد للمخاطب أن يحافظ على سلطته الجديدة وأن يعمل على زراعة الرقابة الذاتية في خطابه»،[61] ويلاحظ من خلال هاجس ترشيد استجابات الجمهور لدى الباحثين أنه لن يتم ذلك إلا بعد ممارسة نقد ذاتي، تنجزه بلاغة الجمهور على خطابها، بوصفه محطة أولى وضرورة ملحة لقيام باقي الخطوات في بعدها البيداغوجي.

خلاصة أولى:

- كشفت الدراسة عن اتجاهين اثنين في البحث عن مفهوم السلطة من خلال تحليل الخطابات، اتجاه يحافظ عليها بمعناها السياسي الذي عرفت به بداية مع صاحب المشروع، واتجاه يحاول تكييفه والتخفيف من حدته السلطوية خاصة في تحليل الخطاب الديني (مع الباحثة حامدة تقبايت).
- ارتبطت دراسة استجابات الجماهير برصد البعد الإديولوجي فيها، والتحذير من انزلاقات الجمهور في استخدام سلطته من البعد الحجاجي المنطقي إلى المغالطة التي قد تصل إلى حد العنف اللفظي.
- ارتبط مفهوم الاستجابة بالبعد الأخلاقي في رسم البعد البيداغوجي لبلاغة الجمهور.
- كانت المادة المشتغل عليها من الفضاء الافتراضي، خاصة مواقع التواصل الاجتماعي، باستثناء دراسة خالد أبو الليل للسيرة الهلالية وإن تناولت الاستجابة الالكترونية؛ لأن هذا الفضاء البلاغي هو المناسب لعيش بلاغة الجمهور، بالإضافة إلى ما توفره هذه الوسائط من مادة كثيرة ومحصاة لاستجابات الجمهور تسهل على الباحثين عنها والدارسين لها عملية تحليلها.
- درس الباحثون استجابات الجماهير من الجانب اللغوي فقط إلا الباحثة بسمة عبد العزيز، فقد أضافت التحليل السيميائي وغلّبته في تحليلها.

العمل الجماعي الثاني (2019) :[62] إجراءات التحليل وسؤال المنهج

يُعَدُّ العدد السادس من مجلة العمدة (2019) عملاً جماعيا ثانيا في مسيرة بلاغة الجمهور بعد العمل الجماعي الأول الذي حواه كتاب "بلاغة الجمهور.. مفاهيم وتطبيقات" (2017)، وإذا عدنا إلى سنتي إنجاز العملين سندرك مدى التقارب الزمني بينهما، ومن ثم ندرك التحول في مسيرة البحث من العمل الفردي الذي انبرى له صاحب المشروع منذ سنة 2005، إذ كان شبه مقصور على أعماله إلى حدود سنة 2017، ولا شك أن الباحث يراهن على أهمية تضافر الجهود في سبيل المضي قدما بهذا المشروع، لأنه عمل ينوء به الباحث الواحد، وإننا إذ نسعى إلى تقديم صورة شاملة عن هذا المشروع على عدة مستويات، فلا بد من

---

(61)بهاء الدين أبو الحسن، بلاغة الجمهور بين الفكاهة والعنف اللفظي، ص:318.

(62)مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

الأخذ بعين الاعتبار هذا التسلسل الكرونولوجي في مسار البحث لهذا المشروع البلاغي الجديد.

يضم العمل الجماعي الثاني، على غرار العمل الأول، دراسات تتنوع بين التنظير والتطبيق وإن لم يُصَرّح بذلك تصنيفا، مع دراسة للباحث عماد عبد اللطيف تزاوج بين الأمرين كما اعتدنا منه ذلك. ولمقاربة هذا العمل سنرصد بالوصف والتحليل العمليات الإجرائية في تحليل الباحثين للخطابات المتنوعة من منطلق بلاغة الجمهور، قصد تبين الجانب المنهجي في تلك الدراسات التطبيقية على الخصوص، وهو ما يستدعي تتبعا مفصلا لكل دراسة على حدة. ولرصد هذا الجانب المنهجي نبدأ بالدراسات التنظيرية، لمعرفة مدى تطور البناء التنظيري لهذا المشروع مقارنة بجانبه التطبيقي.

1 الدراسات النظرية: نقد ومحاولة ربط الجسور

ضم المؤَلف أربع دراسات تنظيرية صرفة، نتتبعها على النحو الآتي:

بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، الإشكاليات المعرفية والمنهجية... وحدود التأصيل: رامي أبو شهاب

قدم الباحث قراءة في الكتاب الجماعي لبلاغة الجمهور (2017)، وهو الكتاب الذي قدمنا له قراءة من مدخل مفهومي، ويسعى الباحث من خلال قراءته إلى نقد الأسس المعرفية والأدوات التطبيقية لبلاغة الجمهور انطلاقا مما حواه الكتاب المذكور من دراسات تنظيرية وتطبيقية. ولكنه قبل ذلك، يبحث عن مسوغ نشوء بلاغة الجمهور انطلاقا من هذا المؤلف الجماعي، ولعل اقتصار الباحث في إيجاد مسوغات مشروع بلاغة الجمهور على هذا الكتاب، قد يجانب نسقية المشروع عامة، فمسوغات المشروع تحدث عنها عماد عبد اللطيف في المقال الأول له، أقصد "بلاغة المخاطب" (2005)، وهو مقال تأسيسي لهذا الحقل البلاغي، وما يعزز قولنا هو خلو لائحة مصادر البحث من هذا المقال، كما خلا متنه من الإشارة إليه. وعلى الرغم من ذلك، فطرح التساؤل عن مسوغات بلاغة الجمهور في هذا الكتاب له مبرراته، أهمها كونه الكتاب الجماعي الأول، أي انضمام باحثين ذوي خلفيات فكرية متعددة، بعدما كانت الأعمال "منحصرة" فيما يكتبه عماد عبد اللطيف. كما يتعلق كذلك، بالبحث عن المسوغات في رؤى هؤلاء الباحثين المنضمين إلى البحث في المشروع الجديد.

وضع الباحث مبضع تشريحه على موضع لا يزال إشكاليا، وهو الجانب المنهجي في هذا المشروع البلاغي، يقول في صدد ذلك: «... مسعى تأسيس ممارسة معرفية منهجية تطبيقية، ينطوي على إشكاليات عميقة، معظمها منهجي، ومعرفي، يتصل بالذوات المشتركة في هذا النهج من حيث الرؤية والأدوات التي اعتمدت في الدراسات، ولا سيما عند استعراض الأبحاث النظرية والتطبيقية التي قدمها الكتاب حيث لا نجد نظاما متكاملا من الأدوات والمفاهيم البحثية قابلة

للتطبيق على اختلاف المدونات»،[63] وهذه الملاحظة لا تنتقص من العمل، لأن هذا الأمر بدهي بالنظر إلى أن الكتاب هو المحاولة الأولى في مسار البحث الجماعي حول بلاغة الجمهور، ويبقى السؤال الهاجس عند الباحث مرتبطا بالإطار المفهومي لهذا المشروع البلاغي الجديد.

ثم يبدي الباحث ملاحظة مفادها «أن الإحالات لكتب عبد اللطيف [في الدراسات التي حواها الكتاب الجماعي] تبقى مقصورة على التعريف، والمقدمات، وتتمحور على تعريفات بلاغة الجمهور، ومفهومها العام، ومقاصدها، والتعريف بالمشروع، وذلك ضمن تكوينات بسيطة، ولكن عند محاولة التعمق، وتقديم رؤية معرفية وتطبيقية واضحة، فإن الإحالات تنحو إلى أسماء أخرى غربية، مما يعني عدم القدرة على تمثل فكر صاحب المشروع، وتقديم مرجعية معرفية متينة...»،[64]، وقد سقنا هذا النص على طوله لتوضيح المقدمة التي بنى عليها استنتاجه، وهو استنتاج يحتاج إلى تأمل وإعادة تفكير ملي، فالانصراف إلى الاستشهاد بأقوال باحثين غير عماد عبد اللطيف في مقام تعميق الرؤية تجاه بلاغة الجمهور، ليس بالضرورة ناتجا من عدم تمثل فكره، بل هو مسار معروف مسبقا، لأن الباحث عماد عبد اللطيف يدعو إلى تعميق الرؤية في مشروعه، لأنه يدرك مدى الهوة التي يحس بها في هذه النقطة، وما استشهاد الباحثين بأقوال آخرين غير عماد عبد اللطيف ما هو إلا محاولة جادة في مسار تعميق الرؤية. وإذا كان زمام الأمر يتعلق بالبعد المفهومي لهذا المشروع، فإننا نعزو هذا الانصراف إلى باحثين آخرين غربيين بأن الباحثين المنضمين إلى البحث في بلاغة الجمهور، وجدوا إطارا عاما يحتاج جهدا كبيرا، يدعو بداية إلى نحت مفاهيم تكون قادرة على تكوين هوية معرفية لهذا المشروع، وهذا مسلك وعر يحتاج جهدا كبيرا وتحليل مدونات كبيرة طبعا، وليس الاقتصار على مقالات أو دراسات معدودات الصفحات، تُستغرق جلها في التعريف بالمشروع، خاصة في بيئة ألف باحثوها الركون إلى مصطلحات غربية يحاولون تبيئتها في التربة العربية.

وعلى الرغم مما تقدم، فإن الباحث وضع بلاغة الجمهور في الميزان؛ فكشف عن هويتها المبعثرة، التي حاول الباحثون لملمة أجزائها من حقول معرفية متعددة. وتبقى بلاغة الجمهور تحديا واضحا للباحثين لبناء رؤية بلاغية جديدة ذات منظومة مصطلحية متماسكة المفاهيم.

بلاغة الجمهور محددات التفاعل ومستويات التحليل: بلخير أرفيس

طرح الباحث سؤالا محوريا، وإن كان يبدو بدهيا في ظاهره، وهو: «هل الحديث عن بلاغة الجمهور معناه الانتقال من بلاغة المتلقي المفرد إلى المتلقي

(63) أبو شهاب رامي، مجلة العمدة، ص:157.

(64) نفسه، ص: 161.

الجماعي؟»،[65] وقد ارتبطت به مجموعة من الأسئلة الفرعية، لكن المنجز كان مفارقا لضخامة الأسئلة، فالكاتب أغرق في التعريفات اللغوية والمصطلحية التي لا تفيد بحثه، وجعلها متراكمة دون بناء، وأحسبه بفعله هذا، يعيد إشكال التشرذم إلى البلاغة العربية، فنشوء المشاريع البلاغية العربية الحديثة، يقوم أساسا على تجاوز هذا التراكم بالبناء المفهومي والمصطلحي داخل رؤية موحدة تحكمه، ويتجلى الخلط المفهومي في اعتماد الباحث محددات نفسية واجتماعية لجمهور الإعلام، وفرق شاسع بين مفهوم الجمهور في بلاغة الجمهور ودراسات الإعلام، وقد حدد الأستاذ عماد عبد اللطيف تلك التمايزات في دراسته المعنونة بـ"منهجيات دراسة الجمهور".كما أن القضايا التي طرحها الباحث في مقاله تحتاج إلى التأني في القبول بها، وسنأخذ مثالا على ذلك.

ذكر الباحث في "محددات التفاعل"[66] أن على الباحثين في بلاغة الجمهور، الأخذ بمجموعة من العناصر حتى يتجنبوا الارتجال، ومن بين تلك العناصر التي ذكرها، الفئة العمرية للجمهور ونوعه، ثم يستشهد في "مستويات التحليل"، تحت عنوان "السرية والعلنية"،[67] بقول لعماد عبد اللطيف، يشير به إلى صعوبة تحديد هوية منتج الاستجابة، سواء من حيث العمر أو النوع أو غيرهما.

مفاهيم اللسانيات العرفنية ومحددات استجابة الجمهور: صالح غيلوس

يمزج الباحث بين مفاهيم "اللسانيات العرفنية" و"مفاهيم بلاغة الجمهور"، ومن ثم يربط بين الاثنتين على مستوى تجريدي، منطلقا من أمثلة واقعية، وقد رام تعريفا للاستجابة ينزع نحو هذا التجريد قائلا: «استجابة الجمهور عملية تفاعلية إيجابية تعبر عن أفكار الجمهور المعني، وهي بمثابة شبكة من القوى المتداخلة المتباينة فكريا وانفعاليا وحركيا...»،[68] وقد يطرحُ هذا النزوع نحو العلاقة بين استجابات الجمهور والذهن البشري شبه تعارض، خاصة إذا استحضرنا اهتمام بلاغة الجمهور بالجوانب المادية الملموسة، ولكنه تعارض سطحي، فاللسانيات العرفانية، من شأنها أن تفتح أفقا آخر في فهم استجابات الجمهور، يتكامل وآفاق أخرى. وقد أشار الباحث عماد عبد اللطيف في دراسة سابقة له إلى أهمية الإفادة من هذا الحقل المعرفي، في إطار ما تطمح إليه بلاغة الجمهور «لدراسة العلاقة بين الخطاب والاستجابة، من خلال الإفادة على نحو أكثر عمقا من علم النفس المعرفي cognitive psychology»،[69] فالأمر يتعلق تحديدا بعملية التفسير بين الخطاب والاستجابة من زاوية العمليات الذهنية.

مفهوم الجمهور بين "البلاغة العامة" و"بلاغة الجمهور": عادل المجداوي

---

(65)أرفيس بلخير، مجلة العمدة، ص:170.

(66)نفسه، ص:175.

(67)نفسه، ص:178.

(68) صالح غيلوس، مجلة العمدة، ص:137.

(69)عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية، ص:42.

اتجه صاحب هذه السطور إلى البحث في علاقة بلاغة الجمهور بمشاريع بلاغية أخرى، فاهتم بالبحث في علاقة البلاغة العامة للأستاذ محمد العمري ببلاغة الجمهور على مستوى المفاهيم، وتحديدا، في العلاقة بين مفهومي الجمهور والمستمَع، وقد أشار إلى أهمية هذا الحوار بين المشاريع البلاغية العربية في الكشف عن الرؤية البلاغية.

2 الدراسات التطبيقية: تجميع وتصنيف

أما فيما يخص الدراسات التطبيقية، فسنحاول تتبع مساراتها المنهجية في ارتباطها بتنوع الخطابات وتضافرها، كما يأتي:

أ – تضافر الخطابات: الخطاب الرياضي والخطاب السياسي

بلاغة جمهور كرة القدم، تأسيس نظري ومثال تطبيقي: عماد عبد اللطيف

وسّع الباحثُ دائرة البحث البلاغي بشكل عام لتشمل الخطاب الرياضي، وقدّم كيفية تحليل هذا الخطاب بسرد مجموعة من الأسئلة النظرية مشفوعة بأمثلة تطبيقية، وقد اتخذ أغنية (في بلادي ظلموني) مثالا لتوضيح رؤيته البلاغية، والملاحظ على الباحث التزامه بمنهجية طيلة مساره البحثي، تتمثل في المزاوجة غالبا بين التنظير والتطبيق، خاصة في الخطابات التي همشها البحث البلاغي أو تحاشاها. وقد نتج توسيعُ دائرة البحث البلاغي عن تغيير مفهوم البلاغة وتوسيع مجال اشتغالها، فقد أضحت البلاغة عند عماد عبد اللطيف «العلم الذي يدرس كيف تنجز النصوص، والخطابات العامة والخاصة، وظائف الإقناع، والتأثير، والإمتاع، وغيرها».[70]

إن الباحث يحمل هاجس توسيع دائرة البلاغة لتشمل جميع الخطابات بالتحليل، البلاغة التي تخدم الناس وتنشر الوعي بينهم، لا سيما أن النظرة الموجهة إلى الجماهير قدحية وتنقيصية، ولعل تكرار الباحث تعريف الاستجابة البليغة أكثر من مرة،[71] ينطوي على رغبة في توضيح أهمية خطابات الجماهير وأحقيّتها بالدراسة البلاغية التي ارتبطت بالنص المقدس ونصوص النخبة بشكل كبير.

بلاغة الجمهور من أدب النخبة إلى خطاب العامة: الربيع بوجلال

تماشيا وتوجه بلاغة الجمهور، يشير الباحث إلى انتقال البحث البلاغي مع بلاغة الجمهور من أدب النخبة إلى خطاب العامة، ويفصّل في الدور الذي تلعبه بلاغة الجماهير في العصر الحالي، بعد أن أشار إلى عودة البلاغة بعد اختزالها في الجانب الإمتاعي لمدة طويلة، يقول الباحث: «وتأتي هذه المقالة لتبرر دواعي

---

(70)عماد عبد اللطيف، مجلة العمدة، ص:12.

(71)تكرر تعريف الاستجابة البليغة في هذا المقال ثلاثة مرات في الصفحات 15 و17 و23. وقد جاء التعريف الأول في الصفحة الخامسة عشرة كالآتي: "الاستجابة البليغة؛ أي الاستجابات التي تعري الخطابات السلطوية، وتقاومها. والخطابات السلطوية هي التي تمارس تمييزا، أو عنصرية، أو قهرا، أو إقصاء، أو تحيزا، أو تلاعبا، أو تضليلا "،ينظر عبد اللطيف (عماد)، بلاغة جمهور كرة القدم. مجلة العمدة ع6.

الانتقال التي فرضها العصر، وطلبتها البلاغة لبقائها وضمان استمراريتها»،[72] وسنحاول في القسم الثالث من مقالنا هذا، أن نبرز أهمية دراسة أدب النخبة انطلاقا من مقاربة بلاغة الجمهور، فعنوان مقال الباحث، قد يشير إلى أن بلاغة الجمهور تناولت أدب النخبة درسا وتحليلا، وهو أمر يحتاج توضيحا أكثر؛ لأن بلاغة الجمهور انتقدت تركيز البحث البلاغي على نصوص النخبة، ولكنها لمّا تدرسها، والسؤال الذي نطرحه استشرافا لما سيأتي، هو ألا يمكن دراسة نصوص النخبة من زاوية بلاغة الجمهور؟

وأبرز ما ضمّنه الباحث مقاله هو فتح بلاغة الجمهور على الخطاب الرياضي المتضافر مع الخطاب السياسي، إذ يجعل ترابطهما يسفر عن استفادة السياسة من الرياضة بالنسبة للمتكلم السياسي، وفي الجهة المقابلة، نجد بلاغة الرياضي وبلاغة الجمهور.

ب - الخطاب الإشهاري

بلاغة جمهور الخطاب الإشهاري –ومضة إشهارية على الفايسبوكأنموذجا-:

عذر الدين عماري

درس الباحث الخطاب الإشهاري عبر وسيط الفيسبوك من زاوية بلاغة الجمهور، فانطلق من تِبيان خصائص استجابات جمهور الفيسبوك التي حددها عماد عبد اللطيف من قبل. واعتمد الإحصاء في دراسة الاستجابات، وعلى الرغم من ذلك، فقد جاء التحليل تراكميا وهزيلا، لا يزيد عن قراءة التعليقات في سطحيتها.

ج - الخطاب الأدبي

تمثل السلطة المزدوج النص المخالف للسائد واستجابات الجمهور نصوص الغفوري إلى النبي (ص) أنموذجا، كل منتج إبداعي سلطة وكل سلطة اختراق:

محمد عبد الله المحجري

يتجه الباحث في دراسته إلى تبيّن علاقة السلطة التي تتحكم في فرض نصوص معينة، تجعلها في المركز في مقابل تهميش نصوص أخرى، بوصف الثقافة السائدة هي من تتولى ذلك التمييز لامتلاكها السلطة لفعل ذلك، فـ«مع كل ثقافة سائدة هناك ثقافة موازية مستترة لا تقدر على الظهور إلا بقدر ضعف الأولى؛ وبمقدار القهر الذي تمارسه الثقافة السائدة تتعالى نسبة تواري الثقافة الموازية، وربما يتعالى معها تحولها إلى ثقافة دوغمائية منغلقة قاطعة وحادة في الوقت نفسه»،[73] وقد اتخذ الباحث دراسة الاستجابات مدخلا لرصد علاقة السلطة بين الطرفين.

إن ما يلاحظ على الباحث هو تعريفه السلطة «بأنها اختراق شخصية الآخر والهيمنة عليها بهدف التأثير فيها (إيجابا أو سلبا) عبر خلخلة تموضعاتها السابقة،

---

(72)بوجلال الربيع، مجلة العمدة، ملخص البحث ص:68.

(73) محمد عبد الله المحجري، مجلة العمدة، ص:80.

والإسهام في موضعتها في النسق الملائم للذات»،[74] ومن ثم يحدث تعديلا عما أعطاه عماد عبد اللطيف لمفهوم السلطة في مقاله التأسيسي (2005)، إذ ربطها بالسيطرة والهيمنة، ولكن هذا التباين الطفيف مرتبط أساسا بنوعية الخطاب المدروس، فمعنى السيطرة والهيمنة التي تنحو نحو السيطرة المادية والقمع المادي، ارتبطت عند عماد عبد اللطيف بالخطاب السياسي، وهذا أمر لا تخفى حقيقته، فالسياسة مرتبطة أصلا بالسلطة وتداولها، مع تباين درجات هذه السلطة، من نظام ديكتاتوري إلى نظام ديموقراطي، أما مع الباحث محمد المحجري، فقد فرض عليه الخطاب الأدبي المتضافر مع الخطاب الديني هذا التعريف، خاصة أنه يركز على خاصية الإبداع التي تخلخل السائد. إن السلطة في دراسة الباحث محمد المحجري مرتبطة بما هو فكري غير مادي؛ ولذلك فهو يتحدث عن تفرد المنتج الإبداعي حين يخالف المألوف والسائد، وهو في ذلك يأخذ بنظرية التلقي، إذ تتأسس قواعد متشابهة من نصوص متراكمة تشكل المعيارية، إلى حين أن تأتي نصوص تخرق أفق الانتظار الذي ألِف قواعد معينة لمدة زمنية طويلة نسبيا تحتل المركز إلى حين غير معلوم.

قارب الباحث نص الكاتب مروان الغفوري المعنون بـ" في يوم مولدك، ارفع الحصار عن مدينتي يا محمد" وهو واحد من النصوص والرسائل التي نشرها الكاتب في صفحته على الفيس بوك عن النبي صلى الله عليه وسلم. فرصد مظاهر تمثل السلطة في منجز الكاتب مروان الغفوري، وقد نزع تحليل الباحث إلى تحليل نفسي لمصادر السلطة في بنية النص الإبداعي انطلاقا مما هو بنيوي. وهناك إشارة ينبغي التنبه إليها، في قول الباحث عن متابعي صفحة الكاتب، أن عددهم قريب من (140.000) متابع،[75] وهذا الإحصاء من ميزات وسيط التواصل فيس بوك، ثم يحدد فئة المتابعين على أنهم من الشباب قائلا: «يمكننا القول إن الكاتب مروان الغفوري يحقق حضورا جماهيريا واسعا وتأثيرا بالغا في الفئة التي يستهدفها بالكتابة، وتحديدا فئة الشباب، الذين يتسمون برفض الواقع ونخبه في المستويات كافة، ولا سيما بعد انتكاسة الحلم ودخول اليمن في متاهات الصراع الإقليمي»،[76] وهذا التحديد في فئة الشباب لم يوضح الباحث كيفية الوصول إليه، اللهم أن يكون تمثلا ذهنيا مسبقا عن هذه الفئة، أو مأخوذا من تعليق الكاتب مروان الغفوري، في سياق ردّه على منشور عبد الرحمن الخميسي الذي دعا فيه جمهوره إلى التبرع بالمال لمحاكمة الكاتب، كالآتي: «أما أنا فأدعو القراء، والمثقفين الشبان، للدخول إلى صفحتك وإعطائك بعض الدروس حتى تعرف أنك لا تخاطب شعبا من القردة العليا»،[77] وهو تعليق مثل به الباحث في دراسته.[78]

---

[74] نفسه، ص:81.

[75] نفسه، ص:89.

[76] نفسه، ص:89.

[77] https://www.facebook.com/alghafory/posts/10153937049769047

[78] محمد عبد الله المحجري، مجلة العمدة، ص:90.

مثلت دراسة الباحث مساحة موسعة، شملت رصد علاقة السلطة بين الكاتب وجمهوره، سواء من المؤيدين أو المناوئين له، فتتبعها انطلاقا من الكاتب ودوافعه النفسية والفكرية، ومرورا بالنص عبر الكشف عن تمثلات السلطة فيه، ووصولا إلى الجمهور وتحليل بلاغته.

الخصائص الجمالية لاستجابة الجمهور لشعر محمود درويش: امتنان الصمادي

تنتمي دراسة الباحثة امتنان الصمادي إلى الخطاب الأدبي، وإلى الشعر منه تحديدا، فقد اهتمت بالخصائص الجمالية لاستجابات الجمهور لشعر محمود درويش على وسيط اليوتيوب، ويسجل على عنوان الباحثة ملاحظة مفادها أن التركيز على البعد الجمالي في استجابات جمهور الشعر، قد يقصي البعد الإقناعي وهو ما يبعد دراستها عن أحد أهم أسس بلاغة الجمهور، أقصد السلطة؛ فالتركيز على جانب الإمتاع وحده لن يرصد علاقة السلطة بين منشئ الخطاب والمستجيب له بشكل تفاعلي، كما أن الاستجابة كذلك في بلاغة الجمهور تتأسس على مقدرتها في تقويض الخطاب السلطوي لمنشئ الخطاب، وهذا الإشكال يرتبط بطبيعة الخطاب المختار للدراسة، وهو الخطاب الشعري ذو الطبيعة التخييلية، فكيف تعاملت مع ذلك؟

لقد تنبهت الباحثة إلى العلاقة التفاعلية بين الاستجابات ومضمون النصوص الشعرية الدرويشية ذات المضمون الوطني والوجود الإنساني، أو بينها والموسيقى التأثيرية المصاحبة لتلك النصوص، أو في علاقتها بأداء الشاعر، ومما يلاحظ في دراسة الباحثة أنها رصدت تأثير الخطاب على الجمهور، وما نتج عنه من تمظهرات تلك الاستجابات، والمفيد في الدراسة في نظرنا، يكمن في فهم المجتمع العربي من خلال استجاباته. وقد وُفقت الباحثة إلى أبعد الحدود في رصد ذلك؛ بفتح دلالات الاستجابات على الأبعاد الاجتماعية والسياسية والثقافية، ولعل التفكير في توسيع مثل هذه الدراسات من شأنه أن يحمل الكثير من الأفكار والقضايا لفهم واقعنا الحالي وما قد يتطلبه من تغيير.

ولا بد من التأكيد على أن صعوبة رصد تأثير استجابات الجمهور في خطاب هذه الدراسة، هو ما دفع الباحثة إلى الحديث عن خصائص استجابات الجمهور، من خلال البحث في مسبباتها، مع أننا نلتقي في دراستها بتأثير بعض الاستجابات في بعضها الآخر.

إن الفارق بين بلاغة الجمهور ونظرية التلقي في هذه الدراسات يتقلص حتى ليكاد يتطابق، فلا يبقى إلا طبيعة القارئ بينهما بغض النظر عن الوسيط، فالدراسات في كثير من الأحيان أشبه بلائحة قراء لنص شعري لولا بعض ما يكتنف التعليقات من استجابات غير لغوية، كالتعبير بالصور مثلا، ومما يزيد في هذا التقارب، أن الجمهور في هذه الحال يوهم بالتجمع ولكنه في حقيقته مكون من أفراد متباعدي الأماكن والأزمنة، لا يجمع بينهم إلا مساحة التعليق.

تنوع استجابات الجمهور في مواقع تقييم الكتب، (قودريدز وأبجد أنموذجا): صيته العذبة

رصدت الباحثة تنوع بعض استجابات متصفحي مواقع مراجعة الكتب على الشبكة العنكبوتية، من خلال التركيز على نموذجين اثنين (رواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي ورواية "أولاد حارتنا" لنجيب محفوظ")، كل منهما في موقع إلكتروني محدد على التوالي:(كودريدز وأبجد). وقد أشارت في بداية ورقتها إلى سلطة الجمهور في الفضاء الافتراضي في سياق التطور التكنولوجي، ثم صنفت استجابات جمهور الرواية وعلقت في آخر التصنيف، وبشكل عام، فالوقوف عند عتبة تصنيف الاستجابات وتركها معلقة دون تحليل، يثير التساؤل عن جدوى مثل هذه التصنيفات، خاصة أن منطلق الباحثة كان الإشارة إلى سلطة الجمهور، فعلى أقل تخمين أين تتجلى سلطة الجمهور؟ وبأي معنى نفهم السلطة في هذا المقام؟

إن تتبع الاستجابات وتصنيفها، لهو محطة أولى، ولكن قطار البحث يجب أن يتجاوزها إلى محطات أخرى. خاصة في دراسات اتخذت متونا قصيرة، أو استجابات يسهل حصرها.

الاستجابة البليغة للرواية، رواية مصائر لربعي المدهون نموذجا: صباح اليازغي

تعد هذه الدراسة هي الثالثة من نوعها، بعد دراستي الباحثين ممدوح النابي وصيته العذبة، فالمشترك فيما بين هذه الدراسات هو الاشتغال على الخطاب الروائي من زاوية بلاغة الجمهور، وذلك بتتبع استجابات متصفحي مواقع القراءة (كود ريدز خاصة) وتصنيفها ثم التعليق عليها. أما الاختلاف بينها فيكمن من حيث موضعة مفهوم السلطة، فإذا كان الباحث ممدوح النابي قد جعل السلطة في جهة جمهور الرواية، ثم دلل على ذلك بتأثير استجابات القراء في كتابات الروائيين، فإن الباحثة صيته العذبة أشارت فقط إلى سلطة الجماهير بشكل عام، دون أن تحدد ذلك في أثناء دراستها. أما الباحثة صباح اليازغي، فقد جعلت السلطة للخطاب الروائي، منذ بداية دراستها، فقالت: «يمكن القول إن الخطاب الروائي خطاب سلطوي، تكمن سلطويته في سحره الأسلوبي الذي يغري القارئ ويثير إعجابه، مما ينتج تأثرا وهذا التأثر في الغالب يكون انفعاليا خاضعا للعاطفة وليس للعقل»،[79] كما أنها لم تغفل الإشارة إلى سلطة جمهور الرواية قائلة: «فله سلطة إبداء رأيه في الرواية هل تستحق الفوز أو لا تستحقه»،[80] وإذا كانت الباحثة قد جعلت السلطة مرادفة للتأثير؛ فإنها لم توضح تجليات سلطة الجمهور، كما أن تعليقاتها على الاستجابات كانت تُشعر بالانسياق مع كل تصنيف تختاره، وقد صرحت في خاتمة بحثها بالنقص في فهم الاستجابات، وقالت بأن ذلك

---

(79) صباح اليازغي، مجلة العمدة، ص:202.

(80)نفسه، ص:213.

«يتقضي القيام ببحث إثنوغرافي يضاف إلى التعليقات التي وجدناها في موقع goodreads».[81]

ج - الخطاب الديني

بلاغة جمهور الخطاب الديني على وسائل التواصل الاجتماعي (الفايس بوك نموذجا): لعويجي أحمد

انطلق الباحث من مقدمة تحتاج إلى توضيح كبير، وتشمل هذه المقدمة ما يسمى "نظرية المؤامرة" التي نسبها إلى الغرب في إطار العولمة، ذلك الغرب الذي لا شغل له إلا تدمير الإسلام وتشويه صورته ! ثم جعل هذه المقدمة أساسا لتغيير الخطاب الديني على لسان الداعية الإسلامي مواجهةً لهذه التغيرات.

والسؤال الذي يهمنا رصد إجابته في دراسة الباحث، هو: كيف يتجلى مفهوم السلطة في دراسة الخطاب الديني من زاوية بلاغة الجمهور؟ وما مدى الربط بين المقدمة ونتائج التحليل؟

ركز الباحث في تحليل الاستجابات على التنوع اللغوي والأسلوبي، فحاول ربطه بالخلفيات الثقافية والسياسية وغيرهما للجمهور، غير أن دراسة الباحث تفرض على قارئها جعلها موضع نقد وتساؤل، فالدارسة تنم عن تحيز صريح، ونية مسبقة، إذ يتجلى التركيز على تفخيم خطاب المتكلم، في مثل تعليقه على عينة من الاستجابات، كهذا التعليق: «فمثل هذه التعليقات تنطوي على تعطش أصحابها إلى فرسان منابر لا يخشون في الله لومة لائم، ويعملون على تقديم النصح والإرشاد للمسؤول مهما علا منصبه، ودون مجاملة»،[82] وإن أردف ذلك ببعض التعليقات المنتقدة لخطاب المتكلم، إن دراسة الباحث يمكن أن نعدها استجابة لاحقة مستحسنة لخطاب المتكلم وليس تحليلا للاستجابات، وما يؤيد هذه القراءة هو أن لا صلة للمقدمة التي انطلق منها بنتائج تحليل استجاباته.

الخطاب الإعلامي حول قضية زواج الشيخ علي يوسف والسيدة صفية السادات، دراسة لغوية في ضوء نظرية بلاغة الجمهور: هدى عبد الغني إبراهيم باز

تناولت الباحثة قضية زواج الشيخ علي يوسف بالسيدة صفية السادات بالتحليل من زاوية بلاغة الجمهور، فعدّت كلام أب الفتاة صفية الراغب في فسخ الزواج متكلما، أنشأ خطابا يبدي فيه عدم الموافقة على الزواج، لأنه تم بدون إذنه، ومن ثم ابتدأت بخطاب المتكلم عبر وسيط الصحيفة المكتوبة، فحددت أفعاله الإنجازية ولازم أفعاله الكلامية في إطار المقاربة التداولية. ثم انتقلت بعد ذلك إلى رصد بلاغة الجمهور تجاه هذه القضية؛ فقسمت الجمهور إلى ثلاثة أقسام تبعا لرد فعلهم تجاه القضية نفسها. وقد جاءت هذه الأقسام كالآتي: (بلاغة الجمهور المحايد/ بلاغة الجمهور المعارض/ بلاغة الجمهور المؤيد).

---

(81)نفسه، ص:215.

(82) أحمد لعويجي، مجلة العمدة، ص:65.

وتحت عنوان "**الوسائل البلاغية التي وظفها الشيخ علي يوسف لتحقيق التأثير والإقناع**"، رصدت الباحثة التفاعل الجماهيري، فعدّت «مقالات الشيخ علي يوسف خطابات بلاغية جماهيرية؛ حيث إنها أُنتجت واستهلكت في إطار عملية اتصال كان المتلقون فيها طرفا فاعلا؛ حيث أسهمت استجاباتهم المؤيدة لزواجه أو المعارضة له في تشكيل خطابه، وصوغ حججه»،[83] وعلى الرغم من تركيز الباحثة على خطاب المتكلم بشكل كبير، إلا أنها رصدت العلاقة التفاعلية بينه واستجابات الجمهور، كما تتبعت مظاهر تغير خطاب المتكلم تبعا لسلطة الجمهور.

هناك إشارة، تتعلق بتحول شكل التواصل إلى ما يشبه الحوار التفاعلي بين الشيخ يوسف والشيخ السادات، كما أن الجمهور الذي تتبعت الباحثة بلاغته لم يكن جمهورا في فضاء واحد، بل متفرق في أمكنة متعددة ولا يتفاعل بينه كما في جمهور اليوتيوب أو الفيس بوك مثلا، لأنه جمهور الجرائد المكتوبة.

خلاصة ثانية:

- كشف تتبع دراسات باحثي العمل الثاني، على مستوى التنظير، عن محاولة ربط الباحثين حقل بلاغة الجمهور بحقول معرفية أخرى، لأن بلاغة الجمهور لما تؤسس أرضيتها بشكل مستقل يمكن الاطمئنان إليه، ويرتبط توضيح أرض بلاغة الجمهور ضمن الحقول المعرفية الأخرى بما كشف عنه تتبع دراسات الباحثين على المستوى الإجرائي من حاجة بلاغة الجمهور إلى دراسات كبيرة حجما، فالملاحظ أن على الأعمال التي قاربت خطابات متنوعة من زاوية بلاغة الجمهور، كانت كلها أعمالا صغيرة الحجم، ولا نستثني كتاب بلاغة جمهور الخطاب السياسي للباحث عبد الوهاب صديقي،[84] لأنه كتاب مبني على تحليل خطابات قصيرة ومتنوعة كذلك.
- إن التركيز على الجانب اللغوي في استجابات الجمهور، جعل هوية الاستجابات تكاد تمّحي، لأننا نصبح أمام تحليل لخطاب كأنه لمتكلم وليس استجابة له؛ وهذا نتيجة خفوت رصد البعد التواصلي عن طريق مفهوم السلطة خاصة.
- ليست هناك تمايزات تبعا لنوعية الخطابات، فدراسات الباحثين تعاملت مع الخطابات المختلفة بمنهجية واحدة، وبمفاهيم متشابهة.
- هناك شبه غياب للبعد السيميائي في تحليل استجابات الجمهور، لاعتماد أغلب الباحثين في الدراسات التطبيقية على تركيز الاهتمام بالجانب اللغوي.
- قد نعيب على تحليلات الباحثين في بلاغة الجمهور، اقتصارها على تصنيف

---

(83) هدى عبد الغني، مجلة العمدة، ص:121.

(84) عبد الوهاب صديقي، بلاغة جمهور الخطاب السياسي قضايا ونماذج، دار أمجد، ط1، 2018.

الاستجابات وتحليلها، ولكن ما الفرق بين دراسات باحثي بلاغة الجمهور ودراسات باحثي حقول معرفية أخرى، لنأخذ على سبيل المثال البلاغة التقليدية، أليست هي كذلك، تصنف وتصف وتحلل؟ إن مصدر النقص في دراسات بلاغة الجمهور، هو غياب مفاهيم خاصة بها، فالمفاهيم التي نحتها الأستاذ عماد عبد اللطيف -أقصد مفهوم الجمهور والاستجابة والسلطة بمعناها الجديد- هي نفسها التي يركن إليها الباحثون من بعده. وهذه المسألة تجعل الباحثين يهرعون إلى حقول معرفية ليدرسوا استجابات معينة، إذ في هذه الحال نشعر أننا أمام خطابات لا تتضمن خصوصية الطرف الأضعف في العملية التواصلية، وهو الجمهور، لأنها مفاهيم طبقت ولا تزال على خطابات المتكلمين.

- لا يمكن نفي تجاوز الحدود بين الحقول المعرفية في العصر الحاضر بشكل خاص، ولكن استمداد بلاغة الجمهور مفاهيمها كلها من تلك الحقول، سيضيع لا محالة هويتها الجنينية، فمدار الأمر هو رؤية بلاغية تشكل إطارا لا يزال الخواء يعم أركانه جلها؛ ومن ثم فبلاغة الجمهور بحاجة إلى أقلام تبني هذا الصرح المفهومي، انطلاقا من تراكم دراسات تشمل مدونات كبيرة الحجم، تبدأ من قراءة التراث لتصل إلى الحاضر، خاصة أن بلاغة الجمهور تأسست من خلال نقدها للتصور التراثي، ولكنها لم تجرب قراءة ذلك التراث انطلاقا من زاويتها هي. وفي القسم الآتي، سنحاول أن نتتبع جزئية من هذا الطرح، لعلها تصبح منجزا قائم الأوصال في قادم الأيام.

ثالثا: بلاغة جمهور الأدب.. نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربية

1 - استجابات جمهور الأدب العربي.. كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني نموذجا

يقتضي التصور العام لمشروع بلاغة الجمهور الإشارة إلى أن هذا المشروع تأسس بداية لدراسة خطابات الحياة اليومية، وارتبط بشكل كبير بالخطاب السياسي، كما ارتبط بوسائط تواصلية تواكب الحياة المعاصرة، من قبيل تعليقات الفيسبوكواليوتيوب، وهذه المادة تساعد بشكل كبير دارسي الاستجابات لما تتيحه هذه الوسائط من إمكانات التفاعل والإحصاء، بل لابد من التأكيد على أن مبررات قيام هذا الحقل البلاغي الجديد كان على أساس تهميش الخطابات اليومية في مقابل إعلاء قيمة النصوص الأدبية، ثم انتقلت الإشارة إلى إمكان دراسة الخطاب الأدبي من خلال العمل الجماعي الأول لبلاغة الجمهور (2017)، وتحديدا في دراسة الباحث عماد عبد اللطيف المعنونة بـ"منهجيات دراسة الجمهور". وكما أشرنا سابقا، فبلاغة الجمهور وإن انتقدت الاهتمام بخطابات النخبة على حساب خطابات العامة، فهي لم تبعد دراسة تلك النصوص من دائرة اشتغالها، وهذا الأمر هو ما نجمله في السؤال الآتي: ألا يمكن لبلاغة الجمهور دراسة الخطابات الأدبية؟ على

نحو يغاير الدارسات الأدبية التي مررنا بها في دراسات العمل الجماعيين (2017) و(2019). فتلك الدراسات اهتمت بالجمهور خارج العمل الأدبي، أما ما نشير إليه هنا، هو دراسة الجمهور داخل المصنفات الأدبية، وهو جمهور حقيقي يعيش بين دفاف الكتب، ولم يدرك وسائل التواصل الاجتماعي، مثل الجمهور الذي نتعرفه في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.

تتجلى أهمية دراسة الأدب من هذا المنظور في تعميق دراسة الجوانب التأسيسية لبلاغة الجمهور، فما دامت هذه البلاغة حقلا معرفيا ناشئا يتبنى إبدالا معرفيا جديدا في الفكر البلاغي، فهي مطالبة بتوضيح الرؤية التي يعتمدها هذا الإبدال الجديد القائم على تصور معكوس للبلاغة التقليدية، يتجه من الجمهور صوب المخاطب؛ ولذلك فالخطوة الأولى لتوضيح هذا التصور، هي إعادة كتابة تاريخ البلاغتين العربية والغربية على أساس إبدال بلاغة الجمهور القائم على مفهوم السلطة والصورة العكسية للعلاقة بين طرفي التواصل، أي إعادة قراءة التراث الأدبي وفق تصور بلاغة الجمهور واختبار مفاهيمها واستدعاء مفاهيم أخرى أو إبداعها إذا دعت القراءة ذلك. ومن ثم فأهمية هذا الانفتاح ينتظر أن تتحقق على أربعة مستويات، هي:

أ- إعادة قراءة التراث الأدبي انطلاقا من تصور بلاغة الجمهور.

ب- فحص أدوات بلاغة الجمهور في تلك القراءة فحصا إبستمولوجيا، من خلال الارتباط بوقائع بلاغية معينة.

ج- النزوع ببلاغة الجمهور نحو الخطاب الأدبي، فقد نشأت هذه البلاغة دفاعا عن مشروعية دراسة خطابات الحياة اليومية.

د- الإسهام في البحث عن منهج لبلاغة الجمهور انطلاقا من المعالجة المتفاعلة مع النصوص؛ إذ تتسع دائرة بناء مفاهيمَ لتصبح ضرورة، انطلاقا من مجابهة تلك النصوص التي تنتمي إلى الخطاب الأدبي العربي القديم، بمراعاة كل جوانبها التداولية، وليس إسقاط قواعد جاهزة سلفا.

2 - الدراسات السابقة

تزخر المكتبة العربية بالكثير من المؤلفات التي تناولت التراث الأدبي العربي على عدة مستويات، إما تأريخا أو نقدا، وكما أشرنا سابقا، فتهميش استجابات جمهور الخطابات الأدبية، انعكس على المكتبة العربية؛ إذ لا نجد مؤلفا يختص بهذا الموضوع، ولكن لابد من التفصيل في أمرين مهمين يتعلقان بالدراسات السابقة في هذا الموضوع، فإذا تناولنا المخاطب في حديثنا عن الأدب العربي، فذلك يستدعي الحديث على مستويين:

أ – المستوى الأول: التأريخ للعلوم العربية

يرتبط الحديث عن المخاطب في هذا المستوى بالتأسيس للعلوم العربية من عَروض ونقد الشعر والبلاغة وغيرها، فما قاله النابغة الذبياني، مثلا في سوق

عكاظ بعد سماعه قصائد الشعراء، أو ما قالته أم جندب زوج امرئ القيس التي حكمت لعلقمة على حساب زوجها، يمكن إدراجه في هذا الإطار الذي نتحدث فيه من حيث إنه رد فعل تجاه شعر مقول، لكنه لا يتجاوز فعل القراءة إلى استجابات مادية ملموسة، فقد بقي في حدود إضفاء معنى على النص، وتجدر الإشارة إلى أن الاستجابات التي تكون قد رافقت تلك القراءات لم تكن موضع دراسة ونقد، وخيرٌ مما تقدم مثالا على ذلك، ما ورد في كتب الأدب من الأجوبة المسكتة، ككتاب "الأجوبة المسكتة" لابن أبي عون، والحوارات المباشرة التي ضمها كتاب "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء" للراغب الأصفهاني وغيرهما، فأما الاختلاف فظاهر، فبلاغة الجمهور تركز على استجابات مادية ومرئية لجمهور وليس لأفراد، مع أنه يمكن اتخاذ الاستجابات الفردية في معرض المقارنة بينها والاستجابات الجماعية، وحتى في هذه الحال، ستكون بشكل مغاير لما عهدناه في التراث الأدبي والنقدي، لأن النقد العربي ركز على قراءات أشخاص معينين يرى فيهم الكفاءة النقدية، أما ما الاستجابات الفردية فستكون لأشخاص لا يشترط فيهم أي شرط لدراسة استجاباتهم، وبذلك فالاستجابات ستكون مفتوحة على كل المشافهات.

إن استجابات النابغة وما شاكلها، مما دونته كتب الأدب والنقد العربيين أشد ارتباطا بنظرية التلقي من بلاغة الجمهور، فكيف ذلك؟

ب- المستوى الثاني: العلاقة بين "بلاغة الجمهور" و"نظرية التلقي"

يبقى السؤال عن الفرق بين المخاطب في نظرية التلقي وبلاغة الجمهور أكثر ترددا في مثل هذا المسعى، وقد أجاب عماد عبد اللطيف عن هذا الأمر بتوضيح الفروقات بين المجالين، وجملة ما ذكره أن بلاغة الجمهور ونظرية التلقي تشتركان في الاهتمام بمتلقي الخطاب، [85] ولكن هناك فروقات بينهما تتمثل في اختلاف ما ينتجه المتلقي؛ فالمتلقي في نظرية التلقي يرتبط بنشاط القراءة وما ينتج عنه من معانٍ محتملة، تكون مجردة في فضاء فردي أو خاص (تأويل فردي)، أما بلاغة الجمهور فتهتم بالاستماع والفرجة وما يرتبط بهما من استجابات متعلقة بخطابات متنوعة في أفضية عمومية، هذه الاستجابات مادية ملموسة وليست مجردة، كما أنها استجابات لغوية وغير لغوية، ويُضيف الباحث عماد عبد اللطيف إلى ما سبق فارقا حاسما بين بلاغة الجمهور ونظرية التلقي، يجسده السياق، ويمكن توضيح ذلك من خلال ما يأتي:

- **سياق بلاغة الجمهور:** طبيعي وحر، يتعلق باستجابات غير محكومة بضوابط معدة سلفا.
- **سياق نظرية التلقي:** مصنوع، يرتبط بدراسة معان ينتجها أشخاص مختارون يدركون مسبقا ما سيقومون به.

---

(85) يبقى مصطلح المتلقي عاما يشمل المخاطب والقارئ والمستمع في هذا السياق.

كما أن كيفية دراسة هذه الاستجابات لها خصوصياتها؛ ولذلك فدراسة استجابات الجماهير في الأدب العربي في علاقتها بخطاب المتكلم وإنتاجه وأدائه وتداوله، لمَّا يهتمْ بها أحدٌ من الدارسين، وهذا ما جعل عماد عبد اللطيف يقول: «ويمثل تحليل استجابات الجمهور للأدب في سياقات التواصل المباشر القديمة موضوعا مهما من موضوعات البحث في بلاغة الجمهور. وهو موضوع غير مطروق، وليست فيه دراسات عربية أو أجنبية بحسب اطلاعي».[86]

ولتوضيح ما سبق نقتبس مجموعة من الأمثلة من كتاب الأغاني:

المثال الأول:

جاء تحت العنوان الآتي في أخبار الشاعر السيد الحميري: «أنشد لجعفر بن محمد شعرا فبكى:

وذكر التميمي –وهو علي بن إسماعيل- عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد إذ استأذن آذِنُه للسيد، فأمره بإيصاله، وأقعد حرمه خلف ستر. ودخل فسلم وجلس. فاستنشده فأنشده قولَه:

أمْـــرُرْ على جدث الحســـيـــ ـــنِ فقُـــل لأعظـــمه الزكيّـــه
آ أعظـــــماً لا زلـــتِ مـــن وَطْفـــــاءَ ساكـبةٍ رويّـــــهْ
وإذا مـــــــررتَ بقبـــــره فأطـــلْ بـه وقـــفَ المطيّـــهْ
وابْـكِ المُطـــهّرَ للـــمـــ ـــطهّر والمطهَّـرة النّقيّـــهْ
كبكـــــاء مُعْـــولة أتـــت يـــوماً لواحدهـــا المنيّـــــه

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحدر على خديه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك...».[87]

فالاستجابة جماعية، يمثلها بكاء جعفر بن محمد أمام الشاعر وبكاء النسوة وصراخهن من وراء الستر، ويمكن التعبير عن ذلك من خلال الصيغ الآتية:

استجابة لفظية: "حتى أمره بالإمساك فأمسك".

استجابة غير لفظية: بكاء جعفر بن محمد وبكاء حرمه وصراخهن.

المثال الثاني:

جاء في أخبار السيد الحميري كذلك، ما يأتي:« هجا قوما لم ينصتوا لشعره:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال حدثني التوزي قال:

جلس السيد يوما إلى قوم، فجعل ينشدهم وهم يلغطون؛ فقال:

قد ضيّع اللهُ ما جمّعتُ من أدب بين الحمير وبين الشّاءِ والبقر
لا يسمعون إلى قـــول أجـيءُ بـه وكيـــف تستمـــع الأنعام لـبشـر
أقـــول ما سكتوا إنسٌ فإن نطقوا قلتُ الضفادعُ بين الماء والشجر»[88]

---

(86) عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟، ص:144.

(87) الأغاني، ج7، ص: 175.

(88) الأغاني، ج7، ص: 184.

فالاستجابة الجماعية تجسدت في عدم الإنصات للشاعر (الإعراض)؛ مما دعاه إلى هجائهم.

المثال الثالث:

جاء في أخبار العتابي حين سخر من الناس: «وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا عثمان الوراق، قال:

رأيت العتّابي يأكلُ خبزا على الطريق بباب الشام، فقلت له: ويحك، أما تستحي؟ فقال لي: أرأيتَ لو كنّا في دارٍ فيها بقر، كنت تستحيي وتحتشم أن تأكل وهي تراك؟ فقال: لا. قال: فاصبرْ حتى أعلِمَك أنّهم بقر. فقامفوعظ وقصّ ودعا، حتى كثُرَ الزحام عليه، ثم قال لهم: روى لنا غير واحدٍ، أنّه من بلغ لسانُه أرنبةَ أنفهِ لم يدخل النّار. فما بقي واحدٌ إلا وأخرج لسانَه يومئ به نحو أرنبة أنفِهِ، ويقدّره حتّى يبلغها أم لا. فلمّا تفرقوا، قال لي العتّابي: ألم أخبرك أنهم بقر؟».[89]

3- الإطار النظري

إن طبيعة موضوع البحث والإشكاليات التي يطرحها، تقتضي تبني مقاربة بلاغة الجمهور تصورا ومفاهيم، لكن دون الاكتفاء بما تتيحه في سبيل البحث، فمن أهداف مثل هذه الدراسة، هي دراسة بلاغة الجمهور في بعدها المفهومي، باعتبارها حقلا معرفيا ناشئا، يوسع دائرة تجريبه على خطابات متنوعة، ولذلك سنتحدث بشكل موجز في قضية الإطار النظري على مستويين:

أ - الرؤية

تتميز بلاغة الجمهور بنظرتها المعكوسة في دراسة استجابات الجمهور، فهي تنطلق من الجمهور إلى المتكلم، عكس المعهود به في البلاغة العربية، إذ يكون الانتقال من المتكلم إلى المخاطب، لأن البلاغة تمد المخاطب بتقنيات يروم بها الهيمنة والسيطرة على المتكلم، ولكن على الرغم من هذه النظرة المعكوسة، فبلاغة الجمهور ليست إقصائية للتصور السائد بقدر ما هي مغنية له، ولذلك تموضع نفسها باعتبارها مستوى من مستويات التحليل البلاغي، ومن ثم سيتكامل التحليل بين البلاغة التقليدية وبلاغة الجمهور.

ب - المنهج

يقترح الباحث عماد عبد اللطيف للبحث في موضوع الاستجابات الخطوات الآتية:

- جمع بيانات وافية حول سياقات تداول الأدب في التراث القديم، وفي هذه الخطوة ندرج كتاب الأغاني الذي استشهدنا بأمثلة منه.
- تقديم تحليل لسياقات تداول الخطابات الأدبية... وتصنيفها إلى سياقات رسمية أو شعبية، عامة أو خاصة، دينية أو سياسية أو اجتماعية، ذكورية أو نسائية، تعليمية أو ترفيهية...إلخ. ودراسة أثر نوع السياق في الاستجابات المنتجة فيه. كما تدرس المواضعات الاجتماعية التي تحكم سياقات التواصل الأدبي المباشر في

---

(89) الأغاني، ج:13، ص:79.

المجتمعات القديمة (مثل وقوف الشاعر بين يدي الممدوح، وجلوسه بين يدي العامة... إلخ)، وأثر هذه المواضعات في استجابات جمهور الأدب.
- دراسة العلاقة بين النصوص الأدبية والاستجابات التي تنتجها؛ مثل التباين في حدود الاستجابة للخطبة الوعظية مقارنة بالقصّ الديني الشعبي، والتباين في الاستجابة للأشعار الشعبية مقارنة بالأشعار الرسمية ... إلى آخره.
- رسم خريطة لاستجابات الجمهور للأدب في حقب تاريخية متتابعة، وتتبع التغيرات التي طرأت على هذه الاستجابات وتفسيرها.
- مقارنة الاستجابات القديمة للأدب بالاستجابات الراهنة له، وتفسير ملامح التشابه والاختلاف. ومقارنة الاستجابات المختلفة للأدب عبر الثقافات المختلفة؛ بهدف الوصول إلى تحديد دقيق للخصوصيات الثقافية للاستجابات للنصوص الأدبية.[90]

إن الانتقال من خطاب المتكلم مرورا بأدائه وتداول الخطاب واستهلاكه وصولا إلى الاستجابات ومحاولة رصد التفاعل العكسي، يبقى مثل ترسيمة أو خطوط عريضة لا تحدد أدوات المقاربة البلاغية للمشروع. إن بلاغة الجمهور مقاربة مفتوحة على تخصصات أخرى، تجد معها تقاطعات على مستوى التصورات، ومن ثم تستلهم أدواتها الإجرائية، وهذا الأمر يؤكد حقيقة أن بلاغة الجمهور لم تنجز بعد إطارا تحليليا، ولذلك فهي ليست بالفعل منهجا قائم الذات، ولكن هذه الحقيقة هي دافع للاشتغال بهذه البلاغة، قصد الإسهام في بلورة منهج لها، من خلال التفاعل مع مختلف الخطابات، وما يحتاجه ذلك التفاعل من مفاهيم إجرائية من خلال الاشتغال على خطابات متنوعة، كالاشتغال على خطاب التراث الأدبي العربي.

ويرتبط البحث في التراث الأدبي العربي في إطار المنهج بسؤال كبير هو: كيف نقرأ التراث الأدبي العربي؟ وهو سؤال لا بد من الخوض فيه حين الشروع في إنجاز هذا البحث، ولا يخفى ما لهذا السؤال من طرح إبستمولوجي؛ وتبعا لذلك، لا بد من استثمار التحليل الإبستمولوجي الذي سيساعد في قراءة تصور بلاغة الجمهور ومفاهيمها، كما سيساعد على تبين رؤية أبي الفرج، مثلا، في كتابه الأغاني بشكل يقرب من الموضوعية العلمية في تحليل الاستجابات، فالخطاب الإبستمولوجي «يتناول ... التفكير العلمي في مرحلة تاريخية معينة من مراحل تطوره، ويريد هذا الخطاب أن يظل على وعي بتاريخيته ونسبيته، وألا يقع في خطأ التعميم الواهم للنتائج المحصلة من هذا التحليل التاريخي والنسبي. إن الخطاب الإبستمولوجي إذ يتعلق بالقيم المعرفية لفترة معينة من نمو المعارف الإنسانية لا يريد أن يقع في خطأ إضفاء صبغة الإطلاق على هذه القيم المعرفية»،[91] إن شرط التحليل الإبستمولوجي إذن، هو الوعي بالذات والوعي

(90) عماد عبد اللطيف، منهجيات دراسة الجمهور، ص:145.
(91) محمد وقيدي، ما هي الإبستمولوجيا؟، ص:86.

بالموضوع داخل وعي أكبر بحركية الفكر وتاريخيته وقواعده الكلية المؤسسة له. إننا بهذا التصور ننقل الأدب في كتاب الأغاني من دائرة الفن المطلق إلى دائرة العلم في إطار خطاب بلاغي وصفي؛ لأن كتاب الأغاني ينتقل عبر ثلاثة دوائر هي: اللحن، والشعر، والخبر، وفي ذلك يقول أحمد بوحسن: «اكتسب موضوع الكتاب نوعا من الغنى والثراء المستمد من الألحان وصناعتها والأشعار وصناعتها والأخبار وصناعتها كذلك، **ففن الخبر الذي وصفناه هنا بالصناعة،** كان جنسا من القول مثله مثل الألحان والأشعار يحتاج بدوره إلى معرفة طرق إنتاجه وإلى ثقافة تقوم على المعرفة والدربة والممارسة»،[92] فيجعل، بذلك، كل ما يحويه الكتاب صناعةً.

كما ينفتح البحث في تحليل استجابات جمهور الأدب العربي على النقد الثقافي، لاستخراج الأنساق الثقافية التي تحكم نصوص الأدب واستجاباتها في كتاب الأغاني، وعلى البعد السميائي في التواصل الذي يحكم تلك الاستجابات، بعد الاستفادة من المنهج التاريخي لتأريخ الأحداث، لاسيما أن الأخبار الواردة في كتاب الأغاني لم تأت مرتبة ترتيبا تاريخا، وهو ما صرح به أبو الفرج نفسه قائلا:«ولعل بعض من يتصفّح ذلك ينكر تركنا تصنيفه أبوابا على طرائق الغناء أو على طبقات المغنين في أزمانهم ومراتبهم أو على ما غني به من شعر شاعر. والمانع من ذلك والباعث على ما نحوناه علّ»،[93] غير أنه يمكننا الاستئناس بما جاء به إحسان النص، إذ فصل بين الشعراء والمغنين، ورتبهم بحسب العصور في اختياراته التي ضمنها كتابه "اختيارات من كتاب الأغاني" ونشره في 6 أجزاء.

يقود الحديث عن بلاغة الجمهور، باعتبارها مستوى من مستويات التحليل البلاغي، إلى الحديث عن المقاربة التي تتبعها في دراسةِ مِنْطقتِهَا البحثية المتمثلة في استجابات الجماهير في الأفضية العمومية، وعن أدواتها التي تُعْمِلُها في تحليلها؛ فنكون أمام مقاربة بلاغية تجمع مراحل إنتاج النص وإلقائه إلى تلقيه وما يستتبع ذلك من استجابات من شأنها أن تدخل تغييرا على خطاب المتكلم أو أن تكون بمرتبة نص جديد ينشأ في مقام النص الأول، كل ذلك في إطار تداولي لا يقصي البعد التخييلي. ومما يجعل الأمر سهلا على مستويي التنظير والإجراء، هو الطبيعة الامتدادية غير الإقصائية لبلاغة الجمهور مع البلاغة التقليدية.

ويساعد التعامل مع بلاغة الجمهور، على أنها مستوى من مستويات التحليل البلاغي، على تجسير علاقتها بالبلاغة التقليدية، فيقترح لذلك عماد عبد اللطيف المستويات التي تدمج مع بلاغة الجمهور في إطار تصور بحث بلاغي تفصيلي، ومن ثم نتدرج عبر المستويات التحليلية الآتية:

---

(92) أحمد بوحسن، "موضوع كتاب الأغاني"، ص:152. [التشديد من عندنا]

(93) الأغاني، ج1، ص:39.

- مستوى بناء النص البلاغي (ويشمل دراسة الأصوات، والصرف، والتركيب، والمعجم (في النص اللغوي)؛ أو الألوان والمنظور والبؤرة (في الصورة)، ويضاف إليها الحركة (في النص المرئي المتحرك)،
- مستوى الحجج (تقنيات الحجاج والتفنيد)،
- مستوى الصور البلاغية (سواء الصور اللفظية والمرئية)،
- مستوى السياق (دراسة العلاقة بين تشكّلات الكلام وأدائه من ناحية، وسياقه ووظائفه من ناحية أخرى)،
- مستوى استجابة الجمهور (العلاقة بين النص وأدائه واستجابات الجمهور له)[94].

خاتمة البحث:

أحدثت بلاغة الجمهور تغييرا في الفكر البلاغي السائد، باعتمادها إبدالا معرفيا مغايرا لما عهدناه، إذ تبنت على مستوى الرؤية صورة معكوسة تنطلق من منطقة الطرف الذي تراه الأضعف في العملية التواصلية، وهو الجمهور؛ فحددت منطقة اشتغالها فيما ينتجه من استجابات بلاغية، ولكن على الرغم من هذه الثورة المعرفية في الفكر البلاغي المعاصر، إلا أن بلاغة الجمهور تحتاج جهودا لتطويرها، فقد كشفت هذه المراجعة النقدية عن ابتعاد الباحثين عن الخوض في بحث بلاغة الجمهور في ذاتها إلى البحث عما يربطها بحقول معرفية أخرى، تشترك معها أساسا في منطقة الجمهور، وهذا الربط بين بلاغة الجمهور وحقول معرفية أخرى، قد يكون مفيدا في بداية وضع القدم الأولى للمشروع، بل يكون ضرورة حين تحديد منطقة البحث وتحديد الأسئلة المعرفية المرتبطة بها، حتى نأمن اللبس ونتعرف خريطة البحث الجديدة بالتركيز على جانب الجدة، أما الاقتصار على التمايزات في بضعة سطور دون تعميق الرؤية، فإنه يشوش أكثر مما يوضح، وهذه الملاحظة تصدق تقريبا على كل الدراسات النظرية في العملين الجماعيين، أما على مستوى التطبيق، فالحرج بدا واضحا في اقتصار أغلب الدراسات على التجميع والتصنيف، وجوهر المشكل ينبع من اتخاذ بلاغة الجمهور مقاربة لتحليل الخطابات، وتناسي أنها في بداية تكوينها، ومن ثم فهي في اللحظة الراهنة بحاجة إلى من يفيدها ويخدمها أكثر مما يستفيد منها، وتغييب هذا الأمر يؤدي طبعا إلى الاكتفاء بتجميع الاستجابات وتصنيفها، وذلك ما جعل بعض الدراسات تكتفي بقراءة استجابات الجماهير قراءة تَهَجٍّ فقط. يضاف إلى ذلك تناسي الباحثين حقيقة أخرى، ترتبط بكون بلاغة الجمهور بلاغة جزئية، لأنها تشتغل على منطقة الجمهور وتختص بها، ولذلك ينبغي دمج بلاغة الجمهور، بوصفها بلاغة جديدة، بمستويات التحليل البلاغي التي

[94] عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟ ، ص:34.

تهتم بالمتكلم والخطاب أساسا، أما الأداء والوسيط والمقام فهي جوانب تدخل في صميم دراسة الاستجابات.

إن تطوير بلاغة الجمهور، في نظرنا، لا بد أن يروم مستويين أساسيين هما، المنهج، وذلك بالاشتغال على مدونات كبيرة، حتى يكون الباحث أمام مجموعة من الوقائع البلاغية المتعددة، كما ينبغي تنويع الخطابات المشتغل عليها مع احترام خصوصياتها الفنية، وهو ما يرتبط بمستوى ثان يخص المفاهيم، إذ نلاحظ اتكاء الباحثين على مفاهيم محددة، كمفهوم السلطة والجمهور والاستجابة، دون تعميقها، فالسلطة مثلا هل تختلف باختلاف الخطاب المشتغل عليه؟ وما حدودها في تشكيل الاستجابات؟ وتبقى هذه المفاهيم المذكورة مفاهيم مشتركة، يمكن رصدها في أي خطاب، ولكن في المقابل لابد من إبداع مفاهيم قادرة على رصد خصوصيات كل خطاب على حدة؛ لأن البلاغة بوصفها علما هي قائمة على رصد خصوصيات الخطابات المتنوعة، وخاصة حينما حاولت بلاغة الجمهور الانفتاح على الخطاب الأدبي ذي الطبيعة التخييلية.

وارتباطا بالقضايا الآنفة الذكر، حاولنا أن نوسع الأسئلة فيما يتعلق بانفتاح بلاغة الجمهور على الخطاب الأدبي، بدءا بالتراث، فالرجوع ببلاغة الجمهور إلى التراث ليس معناه النكوص إليه والتقوقع فيه ومجافاة اللحظة الراهنة التي نعيشها، ولكن لمساءلته وإعادة قراءته بزاوية هي مغلقة إلى حدود الآن، فما أحوجنا إلى قراءة التراث من زوايا أنف. وتلك الأسئلة التي طرحناها في القسم الثالث هي جزء من بحث مطول عزمنا على الخوض فيه، والله نسأل أن نوفق في تحقيق المبتغى.

لائحة المراجع(المقالات محصورة بين مزدوجتين)

- أبو الحسن حسن (بهاء الدين): "بلاغة الجمهور بين الفكاهة والعنف اللفظي"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 1994.
- أبو الليل (خالد): "السيرة الهلالية والتلقي الشعبي دراسة في أشكال الاستجابة الجماهيرية"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، 2017.
- أبو شهاب (رامي): **"بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، الإشكاليات المعرفية والمنهجية... وحدود التأصيل"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- أرفيس (بلخير): **"بلاغة الجمهور محددات التفاعل ومستويات التحليل"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- البازعي سعد والرويلي ميجان، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، 2002.
- بكار (سعيد): "في مفهوم بلاغة الجمهور"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- بوحسن(أحمد): "موضوع كتاب الأغاني"، ضمن كتاب المفاهيم وأشكال التواصل (مائدة مستديرة)، تنسيق محمد مفتاح وأحمد بوحسن، سلسلة ندوات ومناظرات رقم92، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، ط1، 2001، من ص:156 إلى ص:156.
- تقبايت (حامدة): "بلاغة الجمهور في تلقي الخطاب الديني –خطاب الفتوى أنموذجا-"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق،2017.
- الجابري (محمد عابد):نحن والتراث.. قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، ط6، 1993.
- حاوي (صلاح الدين): "بلاغة الجمهور ونظريات التواصل "نظرية التلقي أنموذج التلاقي والاختلاف""، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار-

العراق، ط1، 2017.
- الربيع (بوجلال): **"بلاغة الجمهور من أدب النخبة إلى خطاب العامة"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- صديقي (عبد الوهاب):

✓ "بلاغة الجمهور مفاهيم وقضايا"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.

✓ "بلاغة الجمهور والخطاب السياسي المغربي المعاصر في الفضاء الرقمي دراسة في أنماط الاستجابات وبنيتها الحجاجية: قانون مالية 2016 نموذجا". ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.

✓ بلاغة جمهور الخطاب السياسي قضايا ونماذج، دار أمجد، ط1، 2018.

- الصمادي (امتنان): **"الخصائص الجمالية لاستجابة الجمهور لشعر محمود درويش"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
- عبد الحميد عمر (أحمد): "يسقط يسقط ! بلاغة الجمهور بوصفها ممارسة حجاجية الهجمات الشخصية ضد مبارك نموذجا"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- عبد العزيز (بسمة): "بلاغة المقاومة، الجمهور وخصائص الاستجابة النقدية البليغة لخطاب مؤسسة الحكم"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- عبد الغني (هدى): **"الخطاب الإعلامي حول قضية زواج الشيخ علي يوسف والسيدة صفية السادات، دراسة لغوية في ضوء نظرية بلاغة الجمهور"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- عبد اللطيف (عماد):

✓ "الحجاج والبذاءة مقاربة تداولية بلاغية لتعليقات الجمهور على "اليوتيوب""، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون – تيارت الجزائر، ع 17، مارس 2017.

✓ "بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي، بحث في البلاغة المهمشة"، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، بني ملال المغرب، ع 7و8.

- ✓ "بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي ملاحظات منهجية"، ضمن كتاب: البلاغة الثائرة خطاب الربيع العربي.. عناصر التشكل ووسائل التأثير، إعداد وتقديم د. سعيد عوادي، دار شهريار- العراق، ط1، 2017.
- ✓ "بلاغة المخاطب البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته"، ضمن (Power and the role of the Iintellectual) ع 9، س 2005.
- ✓ "بلاغة جمهور كرة القدم، تأسيس نظري ومثال تطبيقي"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- ✓ "تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ع 84/83 خريف/ شتاء 2012-2013.
- ✓ "كيف ندرس التناص في الخطاب السياسي"، ص:281. ضمن كتاب بلاغة الخطاب الديني، إعداد وتنسيق محمد مشبال، دار الأمان(الرباط) ومنشورات الاختلاف (الجزائر) ومنشورات ضفاف، ط1، 2015.
- ✓ "ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟ الإسهام، الهوية المعرفية، النقد"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- ✓ "مناهج الدرس البلاغي العربي المعاصر مقاربة نقدية"، كتاب المؤتمر، الندوة الدولية، 1، 2015.
- ✓ "منهجيات دراسة الجمهور..دراسة مقارنة"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- ✓ بلاغة الحرية، معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، دار التنوير، ط1، سنة 2013م.
- ✓ لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، دار العين - القاهرة، ط1، 2009م.
- العذبة (صيته): **"تنوع استجابات الجمهور في مواقع تقييم الكتب، (قودريدز وأبجد أنموذجا)"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- عماري (عذر الدين): "بلاغة جمهور الخطاب الإشهاري –ومضة إشهارية على الفايسبوكأنموذجا- "، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- غيلوس (صالح): **"مفاهيم اللسانيات العرفنية ومحددات استجابة الجمهور"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد

بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- فراج النابي (ممدوح): "السلطة الخادعة... والوعي الزائف، جمهور الرواية... رواية الجمهور"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- كينغ (أندريو أ.) A. King Andrew: "البلاغة والسلطة Rhetoric and power"، ترجمة عماد عبد اللطيف، مراجعة مصطفى لبيب، ضمن موسوعة البلاغة، تحرير توماس أ. سلوان، ترجمة نخبة، إشراف وتقديم: عماد عبد اللطيف. ج3.
- لعويجي (أحمد): **"بلاغة جمهور الخطاب الديني على وسائل التواصل الاجتماعي (الفايس بوك نموذجا)"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- المجداوي (عادل): **"مفهوم الجمهور بين "البلاغة العامة" و"بلاغة الجمهور""**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- المحجري (محمد عبد الله): **"تمثل السلطة المزدوج النص المخالف للسائد واستجابات الجمهور نصوص الغفوري إلى النبي (ص) أنموذجا، كل منتج إبداعي سلطة وكل سلطة اختراق"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب.
- محمد (ضياء الدين) : "بلاغة جمهور الخطاب الديني في الفضاء الافتراضي دراسة في خصائص الاستجابة وآلياتها"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- وقيدي محمد، ما هي الإبستمولوجيا؟، مكتبة المعارف- الرباط، ط2، 1987.
- اليازغي (صباح): **"الاستجابة البليغة للرواية، رواية مصائر لربعي المدهون نموذجا"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

مرجع إلكتروني:

- ✓ علي سلامة (حيدر): "نقد أيديولوجيا المنهج والنظرية بحث في لغة اللغة لبلاغة الجمهور"، مجلة الكلمة (إلكترونية)، ع126/ أكتوبر – تشرين 2017، على الرابط: [2018]http://www.alkalimah.net/Articles/Read/19271.
- ✓ https://www.facebook.com/alghafory/posts/1015393704976904